موكـــبُ الشّـــهادة

(من المدينة إلى كربلا)

الكتاب:	موكـبُ الشّـهادة (من المدينة إلى كربلا)
المؤلف:	الشيخ د. جعفر المهاجر
الناشر:	دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع

(حقوق الطبع محفوظة للناشر)

موكبُ الشّهادة

(من المدينة إلى كربلا)

الشيخ د. جعفر المهاجر

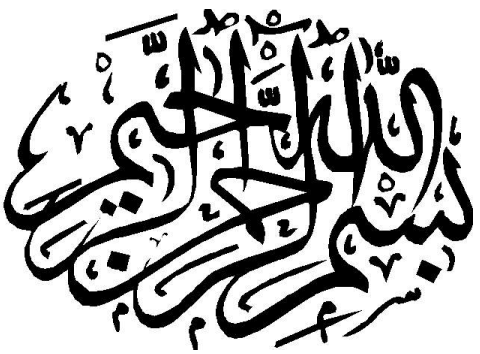

الفهرس

الفهرس ٥

المقدّمة ٧

الفصل الأوّل

(تمهيد) ٩

١ ـ فـي عديد الرَّكب المواكب للإمام من الرجال والنسـاء من أهل البيت ومَن يتصلُ بهم بسبب ١١

٢ ـ الذي خرجوا مع الإمام أو التحقوا به ووصلوا معه إلى كربلا ١٣

٣ ـ مُلاحظاتٌ أوّليّة ٢١

الفصل الثاني

١ .الحسين في «المدينة» ٣١

بدايةُ النهاية ٣١

٢. نهايةُ البداية ٣٩

الفصل الثالث

١.الحسين في مكة ٤٣

الفصل الرابع

الأيام الأخيرة في مكة ٦٥

الفصل الخامس

في الطريق إلى الكوفة ٧١
١ ـ (التنعيم) ٧١
٢ ـ (الصِّفاح) ٧٢
٣ ـ (الحاجر من بطن الرُّمّة) ٧٣
٤ ـ (ماءٌ من مياه العرب) ٧٥
٥ ـ (ماءٌ فوق زَرود) ٧٨
٦ ـ (الضويجعة/الثعلبيّة) ٨١
٧ ـ (زُبالة) ٨٥
٨ ـ (بطنُ العقبة / واقصة) ٨٧
٩ ـ (شَراف) ٨٩
١٠ ـ (ذو حُسَم) ٨٩
١١ ـ (البِيضة) ٩٩
١٢ ـ (عُذيب الهجانات) ١٠١
١٣ ـ (قصربني مُقاتل) ١٠٦
١٤ ـ (نينوى / كربلا) ١٠٩

مكتبةُ البحث ١١١

الفهرست ١١٥

الفصل الأوّل

المقدّمة

(١)

نضجت فكرةُ هذا الكتاب، بعد الترحيب الكبير الذي استقبلَ به القُرّاءُ كتابَنا السابق (موكبُ الأحزان). الذي وصفَ وصفاً غير مسبوق التاثيرَ السياسيّ والاجتماعيّ الهائل للموكب الحزين الذي انطلق من «**الكوفة**» برووُس شهداء يوم «**كربلا**» ونسائهم وأطفالهم، ليستعرضهم في البلدان مدّة شهرين تقريباً. فأثبتَ الكتابُ الحاجةَ الماسّةَ إلى الدّراسة التاريخيّة للحدَث الكربلائي وتداعياته، طبعاً بموازاة الموقف الإنساني منه. فيُعزّزه ويمنحهُ صفةَ الضّرورة، بصرْفِ النّظرعن رؤية القارئ إلى الحَدَث والشهداء. وكان من جملة ذلك الترحيب ترجمةُ الكتاب فوراً إلى الفارسيّة، ومُطالبةُ القرّاء بمُتابعة هذا المنهج في دراسة الحدَث بكافّة مُكوّناته ومراحله. وعليه فقد كان من الطبيعي أن نبدأ عملنا بقراءة مُقدّمات الحدَث، ابتداءً من «**المدينة**». حيث بدأت تبرزُ إلى العلَن التناقضاتُ في المُخيّلة السياسيّة. وتابعت تراكُمها في «**مكة**»، ثم في الطريق منها إلى «**كربلا**». حيث انفجرتْ ذلك الانفجار المَهول، الذي كرّس نهائيّاً منظورين مُختلفيَن كُلّيّاً إلى مفهوم السُلطة. وفرَزَ المجتمع الإسلامي على هذا الأساس، فرزاً ما يزالُ قائماً حتى اليوم.

(٢)

بُغيتُنا فيما سيأتي، أن نصِفَ وصفاً شاملاً ودقيقاً، بقدر ما تُسعفُنا عليه المصادر، التراكماتِ التي توالت أثناء حركة سيّد الشهداءعليه السلام، وهو يشقُّ طريقَه الصعبَ، ليس معه إلا نُخبةٌ قليلةٌ من أهل بيته وأصحابه، من **«المدينة»** فـ **«مكة»** ثم **«كربلا»**. ليس على سبيل العلم فقط، ولكن أيضاً لأننا نعتقدُ أنّ ممّا هو من عناصر الحدَث الأساسي، ما قد دخل مسار الأحداث التالية أثناءَ الطريق إلى **«كربلا»**. بحيث أنّ بعض ما هو موضوعٌ لإشكاليّةٍ منه، يمكن حسمُهُ بقراءة ذلك المسار قراءةً دقيقة. وسأترك للقارئ الحصيف أن يكتشف ذلك بنفسه.

(٣)

أمّا مصدرُنا الأساس للبحث فهو ما قد رواه مؤرّخُ **«العراق»** أبو مِخنَف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي المتوفّى سنة١٥٣هـ/٧٧٠م، أي بعد وقعة **«كربلا»** بتسعين سنة. ولكنّه اعتنى عنايةً خاصّةً بلقاء مَن شهدوها أو مَن روى عنهم، فسجّل ما يعرفون تسجيلاً مُدهشاً بما تضمّنه من تفصيلات دقيقة. ممّا يدلُّ على أنّه كان مُحقّقاً موهوباً في استنطاق مَن يأخذ عنهم. والحقيقةُ التي يحسُّها بوضوح مَن يقرأُ رواياته في هذا النطاق، أنّه كتبَ أخبار يوم **«كربلا»** بذهنيّة وحسّ مؤرّخٍ رأى فيه بحقّ حدثاً ليس كغيره من الأحداث التي يُسجّلها المؤرّخون. بل إنّه سيظلُّ يتداعى مُنتجاً ليس مُنعطفاً جديداً، ولكن سلسلةً من المُنعطفات المُتوالية على غير صعيد. وقد أثبتَ الزمان صحّةَ رؤيته وما يزال.

والحمد لله رب العالمين

بعلبك في ١٥ رجب الحرام ١٤٣٣

٦ حزيران/ يونيو ٢٠١٢م

الفصل الأوّل

(تمهيد)

غرضنا في الصفحات التالية من هذا الفصل، أن نُقدّم أوفى ثبتٍ نظنّه وافياً بأسماء مَن كانوا في الرّكب الحسيني، الذي انطلق من «**المدينة**» إلى «**مكة**». ثم انتهى به الطريقُ إلى «**العراق**». مقدّمةً لبيان خريطة الطريق ومعالمها، وما جرى في كل موقع موقعٍ عبروه أو نزلوا فيه. نتحقّقُ من كل ذلك ونقفُ عليه، لأنه جزءٌ لا يتجزّأ من سيرة سيّد الشهداء عليه السلام، ولأنّ بعضَ ما جرى أثناءَ الطريق ذو علاقةٍ متينة بالحَدَث الأساسي في كربلا.

وبما أنّ الذين كانوا في ذلك الرّكب قد التحقوا به في أماكن مُختلفةٍ كلَّ الاختلاف، بدءً من «**المدينة**»، حتى قُبيل كربلا، مروراً بأماكنَ عديدةٍ على الدّرب الطويل. وكان منهم مَن انفصلوا عنه بعد أن انضمّوا إليه، حين بان لهم أن الاستمرارَ فيه عملٌ خاسرٌ بالنظر لمقاصدهم وأطماعهم الشّخصيّة ـ، لذلك فقد اتخذنا مقياساً لمَن يستحقّون الذكرَ في هذا العَرْض أن يكون صاحبُ الاسم قد وصلَ مع الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلا. بصرف النظر عن مكان التحاقه به.

ومن المعلوم عند العارفين أنّ أسماءَ وعديدَ الذين التحقوا بالإمام ووقفوا معه ثم استشهدوا بين يديه هي محلُّ اختلافٍ كبيرٍ بين الرُّواة وأرباب المقاتل. بحيث أنّ مؤرّخاً عظيماً كالمسعودي يقولُ أنّ الذين وصلوا مع الإمام إلى القادسيّة، غير البعيدة عن كربلا، من أهل بيته وأصحابه، كانوا يعدّون ستمائة

رجل، بين فارسٍ وراجل[1]. وهذا عديدٌ مُبالَغٌ فيه كثيراً. في حين أنّ مؤرّخاً آخر كبيراً هو الطبري، ينقلُ روايةً عن عمّار الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام تقول أن الإمام الحسين عليه السلام حين ضرب أبنيته(خيامَه) في كربلا كان معه مائة وخمسة وأربعون رجلاً فقط[2]، وهو رقمٌ أقربُ إلى الصواب. إلى روايات أُخرى تقول مثل ذلك أو غيره.

نقولُ هذا لنُبيّن جسامةَ العِبء الذي يُلقيه على الباحث تحقيقُ الحالِ في مَن كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الرّكب عديداً وأسماءً. الأمرُ الذي سيسرقُ الانشغالُ به وبتحقيق وتمحيص الروايات الكثيرة عليه انتباهَ القارئ، ويُبعدُهُ مسافةً واسعةً عن غرض الكتاب. ولذلك فإننا سنكتفي فيما سيأتي بذكرِ أسماءِ مَن انتهى بنا البحثُ إلى أنهم مَن وصلوا معه إلى كربلا، دون الدخول في تحقيق حال كلّ اسمٍ اسمٍ منها.

(١) مروج الذهب، نشرة الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٠ باعتناء شارل بللا، الفقرة ١٩٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: نشرة دار المعارف بمصر لات باعتناء محمد أبو الفضل إبراهيم: ٥ / ٣٨٩.

١ ـ في عديد الرَّكب المواكب للإمام من الرجال والنساء من أهل البيت ومَن يتصلُ بهم بسبب

١ ـ الإمام الحسين عليه السلام

ومعه:

٢ ـ أُخته: زينب الكُبرى.
٣ ـ أُخته: رُقيّة زوجة مسلم بن عقيل.
٤ ـ زوجته: الرّباب بنت امرئ القيس.
٥ ـ ابنته منها: سُكينة.
٦ ـ وزوجته: ليلى بنت أبي مُرّة بن عروة بن مسعود.
٧ ـ وابنه منها علي الأكبر عليه السلام.
٨ ـ وابنه الإمام علي زين العابدين عليه السلام.

أخوته:

٩ ـ العباس.
١٠ ـ عبد الله.
١١ ـ عثمان.
١٢ ـ جعفر. (أُمّهم أمّ البنين بنت حزام).
١٣ ـ محمد المُكنّى أبو بكر. (أُمّه أُمّ ولد).

وابنا أُخته زينب الكبرى:

١٤ ـ محمد بن عبد الله بن جعفر.
١٥ ـ عون بن عبد الله بن جعفر.

وأبناء عمّه:

١٦ ـ جعفر بن عقيل بن أبي طالب.

١٧ ـ عبد الرحمان بن عقيل بن أبي طالب.

١٨ ـ عبد الله بن عقيل بن أبي طالب.

١٩ ـ محمد بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب.

٢٠ ـ عبد الله بن مسلم بن عقيل (أُمّهما رُقيّة بنت علي عليه السلام).

٢١ ـ محمد بن سعيد بن عقيل بن أبي طالب.

وإبنا أخيه:

٢٢ ـ عبد الله بن الحسن بن علي عليه السلام.

٢٣ ـ القاسم بن الحسن بن علي عليه السلام.

ومن نساء أهل البيت أُمهاتُ الثلاثة السابقون أعلاه:

٢٤ ـ بنت الشّليل البجليّة، أم عبد الله بن الحسن عليه السلام.

٢٥ـ رملة أُمّ القاسم بن الحسن.

٢٦ ـ أُمّ محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طال.

فهؤلاء الستة والعشرون من الرجال والنساء هم عِدّةُ مَن كانوا في الرّكب الذي خرج من مكّة يوم التروية سنة ستين مع الإمام عليه السلام من أهل بيته ومَن يتصلُ بهم بسبب، أو التحق به ووصل معه إلى كربلا[1].

---

(١) قارن هنا أبياتاً لشاعرٍ معاصر ومُطّلع عن قُرب، تضمّنت تعداداً دقيقاً للشهداء من أهل البيت، هو مسلم بن قتّة مولى بني هاشم. لعلها أفضل مصدرٍ في هذا الشّأن

عين جودي بعبرةٍ وعويل ... واندبي إن ندبتِ آل الرسول

واندبي تسعةً لصُلب علي ... قد أُصيبوا وستةٍ لعقيل

واندبي شيخهم فليس إذا مّا ... ضُنّ بالخير شيخهم بالبخيل

وابن عمّ النبي عوناً أخاهم ... ليس فيما ينوبهم بخَذول

وسميّ النبي غُودر فيهم ... قد علوه بصارم مصقول

(مقتل الحسين للخوارزمي: ٢ / ١٥٢ ـ ٥٣) (تابع في الصفحة التالية)

٢ ـ الذي خرجوا مع الإمام أو التحقوا به ووصلوا معه إلى كربلا من غير أهل بيته

٢٧ ـ الأدهم بن أُميّة العبدي (نسبةً إلى عبد القيس من ربيعة). صحابيٌّ ثم سكن البصرة. خرج منها قاصداً مكة مُلتحقاً بالحسين عليه السلام حين بلغته دعوته. فانضمّ إليه. ورافقه إلى العراق. وقُتل بين يديه.

٢٨ ـ أسلم. تركيٌّ. من موالي الحسين عليه السلام. كان قارئاً للقرآن عارفاً بالعربيّة كاتباً. خرج معه من المدينة، وقُتل بين يديه.

٢٩ ـ بُرير بن خُضير الهمْداني. تابعي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن شيوخ القُرّاء في الكوفة. وكان له بين الهمْدانيين شرفٌ وقَدْر. سار من الكوفة قاصداً مكة للقاء الحسين عليه السلام، واستشهد معه.

٣٠ ـ جابر/ جنادة بن الحارث السّلماني المُذحجي. كوفي. كان مع مسلم في الكوفة. وبعد فشل حركته خرج للقاء الحسين عليه السلام، والتقى به قبل كربلا وقُتل بين يديه.

٣١ ـ جنادة بن كعب الأنصاري الخزرجي. من أهل المدينة. جاء إلى الإمام بأُسرته في مكة، وصحبه في الطريق إلى العراق واستشهد معه.

٣٢ـ جُندُب بن حُجير الكندي الخولاني. من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة. خرج للقاء الحسين عليه السلام فوافقه في الطريق، قبل اتصال الحرّ به. فصحبه إلى أن قُتل بين يديه.

٣٣ ـ جَوْن بن حويّ. مولى. أسود اللون، شيخٌ كبير السنّ. كان للفضل بن

(تابع ما قبله)

التسعة لصُلب علي: الحسين، علي الأكبر، العباس، عبد الله، عثمان، جعفر، محمد، وعبد الله والقاسم ابنا الحسن.

ستة لعقيل: جعفر وعبد الرحمن وعبد الله أبناء عقيل. ومحمد وعبد الله أبناء مسلم. ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل.

وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، وهذا الثاني هو المقصود بـ «سَميّ النبي».

العباس بن عبد المُطلب. اشتراه منه علي عليه السلام ووهبه لأبي ذرّ الغفاري رضوان الله عليه فبقي معه إلى أن توفي، فالتحق بأمير المؤمنين. ثم كان مع الحسن، ثم مع الحسين عليهما السلام. وصحبه في سفره من المدينة إلى مكة، ثم إلى العراق. وقاتل معه إلى أن استُشهد.

٣٤ـ الحبّاب بن عامر التيمي. ممّن بايع مسلم. وبعد أن رأى خذلان أهل الكوفة له اختفى، فلما سمع بتوجّه الحسين عليه السلام إلى الكوفة خرج للقائه فصادفه في بعض الطريق، ولازمه إلى أن استشهد بين يديه.

٣٥ ـ الحجّاج بن بدر/ زيد السّعدي التميمي. بصري، من بني سعد بن تميم. جاء من البصرة بكتاب مسعود بن عمرو الأزدي إلى الحسين عليه السلام جواباً على رسالة الحسين إليه يدعوه فيها إلى نصرته. وبقي معه إلى أن ورد كربلا، واستشهد بين يديه.

٣٦ ـ الحجّاج بن مسروق/ مسرور الجُعفي. كوفي. من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. سار من الكوفة إلى حيث التقى بالإمام في مكة، ثم صحبه إلى العراق إلى أن قُتل بين يديه. وكان مؤذّن الإمام عليه السلام في أوقات الصلاة.

٣٧ ـ الحرث بن نبهان. مولى. كان لحمزة بن عبد المطلب. ثم كان مع علي ثم الحسن ثم الحسين عليهم السلام. وسار معه من المدينة إلى مكة. ثم كان معه في الطريق إلى العراق. إلى أن استشهد بين يديه.

٣٨ ـ زاهر بن عمرو الأسلمي الكندي. صحابي ممّن بايع النبي صلوات الله عليه وآله بيعة الشجرة. حجَّ سنة ستين. والتقى بالإمام في مكة فصحبه وحضر معه القتال، فقُتل بين يديه.

٣٩ ـ زُهير بن القَيْن البجلي الكوفي. حجّ سنة ٦٠ ومعه زوجته. فساير الحسين عليه السلام في الطريق وهو يسيرُ عائداً من مكة إلى العراق، ثم انضمّ

إليه في قصّة مذكورة أدناه، إلى أن ورد معه كربلا. واستُشهد معه.

٤٠ ـ سالم مولى عامر بن مسلم العبدي البصري. مولى. سار مع سيّده عامر من البصرة إلى مكة حيث لقيا الإمام عليه السلام. ومنها رافقه إلى العراق إلى أن استشهد معه.

٤١ـ سعد بن الحارث الخزاعي. مولىً لعلي عليه السلام ومن شرطة الخميس. وولاّه على آذربايجان. ثم كان مع الحسن ثم الحسين عليهما السلام. خرج معه من المدينة، ورافقه إلى أن ورد كربلا، وقاتل واستشهد معه.

٤٢ ـ سعد بن عبد الله. مولى عمرو بن خالد. لحق بالحسين عليه السلام مع سيّده عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي، فالتقوا به في عُذيب الهجانات، بعد لقاء الإمام بالحرّ بن يزيد الرياحي.

٤٣ ـ سعيد بن عبد الله الحنفي. كوفي. حمل كُتُب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام في الدفعة الثالثة من الرُّسُل. ثم حمل كتاب مسلم إلى الإمام في مكة. ورافقه في الطريق إلى العراق، إلى أن استشهد بين يديه.

٤٤ ـ سيف بن مالك العبدي (نسبةً لعبد القيس من ربيعة) البصري. خرج من البصرة بعد أن بلغته دعوة الإمام عليه السلام حتى أتاه في مكة. وسار معه إلى كربلا وقاتل واستشهد معه.

٤٥ ـ شوذب بن عبد الله الهمْداني. كوفي. من وجوه الشيعة في الكوفة، ومن حَمَلة الحديث. سارَ منها إلى مكة، بعد ظهور خذلان أهل الكوفة قاصداً الحسين عليه السلام. وبقي معه حتى كربلا فقاتل معه وقُتل بين يديه.

٤٦ـ عائذ بن مجمع بن عبد الله العائذي. أحدُ أربعة التحقوا بالإمام في «**عذيب الهجانات**» قُبيل «**كربلا**». ورافقه إلى أن استشهد.

٤٧ـ عامر بن مسلم العبدي (عبد القيس من ربيعة). بصري. خرج من البصرة إلى مكة بعدما بلغته دعوة الحسين عليه السلام. ورافقه إلى العراق،

وقاتل واستشهد بين يديه.

٤٨ ـ عبّاد بن مهاجر الجُهني. كان نازلاً في منازل بني جُهينة حول المدينة. فلمّا مرّ الحسين عليه السلام بهم في طريقه إلى مكة تبعه. وبقي معه إلى أن استشهد. فهو، إلى ثلاثة آخرين من أبناء قبيلته، ممّن سنأتي على ذكرهم، من القلّة من الأعراب الذين انضمّوا إلى ركب الإمام عليه السلام أثناءَ الطريق وثبتوا معه، ولم ينفضّوا عنه بعد أن بانَ لهم واقعُ الحال.

٤٩ ـ عبد الرحمان بن عبد ربّه الأنصاري الخزرجي. صحابي. من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وكان هو الذي علّمه القرآن وربّاه. أحد الشهود لأمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم الرّحبة. جاء مع الحسين عليه السلام من مكّة. وقُتل بين يديه.

٥٠ ـ عبد الرحمان بن عبد الله الأرحبي الهمْداني. كوفي. أوفده أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام في مكة، مع قيس بن مُسهّر الصيداوي، ومعهما كُتُب. في الوفادة الثانية لأهل الكوفة. وقبلها وفادة عبد الله بن سبع وعبد الله بن وال. وبعدها وفادة سعيد بن عبد الله الحنفي وهاني بن هاني. دخل مكة في ١٢ شهر رمضان سنة ستين.

سرّحه الإمام عليه السلام مع مسلم. وبعد أن قُتل عاد عبد الرحمان هذا إلى مكة، ومكث مع الإمام ثم صحبه في الطريق إلى العراق، واستشهد معه.

٥١ ـ عبد الله بن ثبيط العبدي (نسبةً إلى عبد القيس من ربيعة). بصري. خرج من البصرة مع أبيه يزيد بن ثبيط في طلب الحسين عليه السلام في مكة. وصحبه إلى أن قُتل بين يديه.

٥٢ ـ عُبيد الله بن يزيد العبدي. أخو سابقه. ومثله خرج واستشهد.

٥٣ ـ عُقبة بن سِمعان. وهو مولىً للرّباب زوجة الحسين عليه السلام. رافقه من المدينة حتى نهاية القتال يوم عاشوراء دون أن يُشارك في القتال. فأخذه

عُمر بن سعد وقال له: «**ما أنت؟**» فقال: «**أنا عبدٌ مملوكٌ**». فخلّى سبيله. فهو الوحيد الذي لم يُقاتل ولم يُقتَل من أصحاب الإمام الذين وصلوا معه إلى العراق. وقد بقي ليروي الكثير من أحداث يوم كربلا وما سبقه. وتاريخ الطبري حافلٌ بالأخبار المَرويّة عنه في هذا الباب.

٥٤ ـ عُقبة بن الصّلت الجُهني. هو كسابقه وابن قبيلته عبّاد بن المهاجر الجُهني، ممّن تبع الإمام عليه السلام من منازل قومه حول المدينة. ولازمه إلى أن قُتل بين يديه.

٥٥ ـ عمّار بن حسّان الطائي. أبوه حسّان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، واستشهد معه في صفين. فكان من محاسن المقدور أن يستشهد ابنُهُ مع ابنِه. صحبَ الحسين عليه السلام من مكة.

٥٦ ـ عمر بن جُنادة بن كعب الأنصاري الخزرجي. صحب أباه، الذي قد عرفنا حيث ذكرناه، أنه جاء مع أُسرته ومنهم هذا وانضمّ إلى الحسين عليه السلام في مكة، واستشهد معه.

٥٧ـ عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي. من أشراف «**الكوفة**». قام مع مسلم، حتى إذا خذلوه أهل «**الكوفة**» فاختفى. فلمّا سمع بقتل قيس بن مُسهّر الصيداوي، وأنّه أخبر أن الحسين عليه السلام صار بـ «**الحاجر**» خرج إليه ومعه ابنه عائذ. فالتحق به إلى أن استُشهد.

٥٨ـ قارب بن عبد الله الدُّئلي. كانت أُمّه جاريةً للحسين عليه السلام، تزوّجها أبوه الصحابي عبد الله الدُّئلي، فكان ابنهما قارب مع الإمام وصحبه واستشهد معه.

٥٩ ـ قعنب بن عمرو النُميري. بصري. جاء من البصرة إلى مكة حيث انضمّ إلى الإمام، إلى أن قُتل بين يديه.

٦٠ ـ مجمع بن زياد بن عمرو الجُهني. صحابي. ممّن شهد بدر وأُحُد.

كان في منازل بني جُهينة حول المدينة. فلمّا مرّ الحسين عليه السلام بمنازل قومه قاصداً مكة انضمّ إليه وصحبه إلى كربلا، واستشهد بين يديه.

٦١ـ مجمع بن عبد الله العائذي. تابعيٌ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. فلمّا سمع بمقدم الحسين عليه السلام خرج فالتقاه بـ «**عذيب الهجانات**»، وسار معه إلى «**كربلا**» فاستشهد بين يديه.

٦٢ ـ مُنجح بن سهم. من موالي الحسين عليه السلام كانت أُمّه جاريةً للحسين عليه السلام اشتراها من نوفل بن الحارث بن عبد المُطّلب ثم تزوجها سهم فأولدها مُنجح. صحبه في سفره من المدينة إلى أن قُتل بين يديه.

٦٣ ـ نافع بن هلال الجملي المُذحجي. كوفي. من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد معه مشاهده كلّها. خرج من الكوفة يتلقّى الحسين عليه السلام، فلقيه في بعض الطريق، وصحبه إلى أن ورد كربلا، وقتل بين يديه.

٦٤ ـ نصر بن أبي نيزر. من موالي الحسين عليه السلام. فارسي أو حبشي. صحبه من المدينة إلى أن استُشهد بين يديه.

٦٥ ـ يزيد ين ثُبيط العبدي (نسبةً إلى عبد القيس من ربيعة). بصري. خرج من البصرة إلى مكة في طلب الحسين عليه السلام، ومعه ابناه عبد الله وعُبيد الله، فانضمّ إليه وصحبه إلى أن قُتل بين يديه.

٦٦ ـ يزيد بن مُغفل/ معقل المُذحجي. كوفي. ممّن أدرك النبي صلوات الله عليه وآله ولم يلقَه، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد صفين معه. ثم كان مع الإمام الحسين عليه السلام في مَسيره من مكة، التي يبدو أنه قصدها حاجّاً، وقُتل معه.

فهؤلاء ستةُ وستون رجلاً وامرأة من أهل البيت ومَن التحق بهم. هم مَن ثبتَ لدينا بعد البحث أنهم جَماعُ مَن كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام حين

وصلَ إلى كربلا[1] قد يُضاف إليهم عددٌ غير معروف من الأطفال، ربما كانوا مع أُمهاتهم. لم يُذكر منهم باسمه إلا عبد الله الرضيع ابن الحسين عليه السلام من زوجته الرّباب. وهذا إنما ذُكر بسبب قتلته الفاجعة في المعركة. ولولا ذلك لَما ذُكر ولَما وصلنا خبره.

(١) هذا العديد، الذي وصلنا إليه بعد دراسة دقيقة، يختلفُ عمّا أورده الخوارزمي حيث قال: «وفصلَ [يعني الإمام] من مكة يوم التروية لثمانٍ مضين من ذي الحجة ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شيعته ومواليه وأهل بيته» وهو عندنا رقمٌ غير دقيق. وهو بالتأكيد عن رواية، وليس عن إحصاءٍ دقيقٍ كالذي أجريناه. انظر: الخوارزمي: مقتل الحسين:١ / ٢٢٠.

٣ـ مُلاحظاتٌ أوّليّة
مُستفادةٌ من التركيبة الإنسانيّة للرَّكْب

(١)

أُولئك الستون وستة من الرجال والنساء، الذين وقعوا على الموت بأعينٍ مفتوحة، وبإدراكٍ كاملِ الوضوح للمصير المحتوم الذي ينتظرهم. يُضافُ إليهم عددٌ من الرجال والنساء الذين التحقوا بالإمام عليه السلام في كربلا ونطاقها. ممّن يختلفُ أربابُ المقاتل في أسمائهم وعديدهم ـ، هم مَن وقفوا معه تلك الوقفة الفريدة، من حيث روحُها الاستشهاديّة الخالصة، دونما أدنى أملٍ بالنصر العاجل أو النجاة الشخصيّة على الأقلّ. وقفةٌ مع الحقّ لا لشئ إلا لأنّه حقٌّ، غير مدخولٍ بشيءٍ من الباطل. وأن ما دونَه باطلٌ، غير مدخولٍ بشيءٍ من الحقّ. ولأنّ ترْكَ الأُمور تُتابعُ في الاتجاه نفسه، سيمنحُها في النهاية شرعيّةَ السكوت. سكوتُ الأُمّة كلِّها عن الباطل الذي ينمو ويزدهر في ظُلمة الصمت العامّ. وخصوصاً صمتُ النُّخبة، الأعرفُ بمسار الأُمور، والأملكُ لمقاييس الحقّ والباطل والعدل والجور وما إلى ذلك. وبذلك يكونُ لكلامها معنى، ولسكوتها أيضاً معنى، ربما كان أكبر، حتى وإن لم تقصده. وبذلك أيضاً يكتسبُ الباطلُ مع الوقت شرعيّةً إضافيّةً منصوصةً، كما حصل بالفعل في تيّارٍ فكريٍّ ما يزال حيّاً حتى اليوم.

هكذا، فإنّ تلك المجموعة القليلة من الرجال، القادمين من مُختلف

الشرائح الاجتماعيّة، الذين التحقوا بكامل الاختيار بالإمام، كانوا من الخلايا الحيّةَ النابضة في جسم الأُمّة الكبير.

هذا في العام. لكنّ هذا «**العامّ**»، ككُلّ عامٍّ، لا بدّ أنه جَماعُ خصوصيّات. يفرضُ علينا البحثُ أن نتناولَها لبيان خصوصيّةِ كلٍّ منها.

(٢)

وممّا ينبغي علينا، وعلى القارئ أيضاً، أن نلاحظه منذ الآن وفرةَ عدد الموالي المملوكين بين أولئك الرجال، سواءٌ مَن قَدِمَ منهم مع الإمام، أو ممن التحق به في كربلا ونطاقها. من السّهلِ تفسيرُ التحاق هؤلاء بسادتهم بوضعهم الاجتماعي، الذي يفرضُ عليهم أن يكونوا مع سادتهم وبخدمتهم أينما حلّوا وارتحلوا. ولكنّ هذا وحدَه لا يُفسّرُ اشتراكَهم الطّوعي والشُّجاع في القتال في ظرف المعركة المعروف الباعث على اليأس. كما أنه ما من سبيلٍ إلى فرْض إكراههم على ذلك. بل إنّ من الثابت أنهم كانوا يستأذنون الإمام عليه السلام في البروز للقتال، شأنَ غيرهم من أهل بيته وأصحابه. وبشهادة أنّ عُقبةَ بن سِمعان، الذي كان مملوكاً مُقرّباً جدّاً من الإمام، بل يُمكن القول أنه كان بمثابة أمين سرٍّ له، بحيث أنه كان يأتمنه على حفظ رسائل أهل الكوفة إليه[1]، قد شهدَ المعركة، ولكنه امتنع عن القتال، دون أن يُطالبَه أحدٌ بخوضها. ونجا وعاش طويلاً بعد يوم كربلا، وروى ما سجّله المؤرّخون من بعضَ ما شهده من أحداثها.

هل يصِحُّ أن نرى في هذه الظاهرة بدايةَ وعيٍ سياسيٍّ لدى الأرقّاء على حقوقهم المهدورة بالقياس إلى ما كفله الإسلام لهم؟ وممّا يُكمِلُ هذا التساؤل: هل يمكن أن نرى فيها تباشيرَ إدراكٍ من أُولئك الأرقّاء لقوّتهم الكمّيّة الكامنة

(١) الطبري: ٥/٢٠٤.

على الأقلّ، ولكن المشروطة بالقيادة المؤهّلة لحمل قضيّتهم؟

ومن هذا وذاك رأينا تلك الظاهرة غير المسبوقة، في أولئك الذين امتشقوا السلاحَ منهم مُقاتلين وراءَ إمامهم الأمل. ثم رأيناها بعد قليل على نحوٍ أوفرَ وأوفى في ثورة المختار بن أبي عُبيدة الثقفي، التي كان من شعاراتها البارزة المساواةَ بين العرب والموالي. بل إنها اعتمدتْ على الموالي، إلى جانب قِلّةٍ من العرب. ثم ما لبثتْ تلك الظاهرةُ أن نمتْ وتصاعدتْ بعد قرون، بحيث أصبح أولئك المملوكون مالكين، بعد أن تحوّلوا إلى عسكرتاريا مُنظّمة تحتكرُ السُلطةَ وتَلِدُ الأُمراءَ والسلاطين، من أولئك الذين اشتراهم سادتُهُم من سوق النخاسة ليكونوا خَدَماً لهم.

(٣)

ظاهرةٌ ثانيةٌ بارزةٌ نرصدُها في ذلك الإحصاء، هي قلّةُ عديد همْدان فيهم إذ اقتصرَ على ثلاثة رجال. هم: بُرير بن خضير، وشوذب بن عبد الله، وعبد الرحمان بن عبد الله. وهو عديدٌ قليلٌ جداً بالقياس إلى ما نعرفه من عديد همْدان الكبير في الكوفة قبل عقدين من الزمان. وأيضاً بالقياس إلى تاريخها المُشرّف مع الإمام علي عليه السلام.

فنحن نعرف أنّ الكوفة كانت مركزَ التجمّع الرئيسي لهمدان بعد أن باينت مواطنَها الأصليّةَ في شرق اليمن[١]. وأنّه عند تمصير الكوفة فازتْ همْدانُ بسُبع المدينة الجديدة[٢]. الأمر الذي يدلُّ على أنّ هذه القبيلة كانت كبيرة العدد في الكوفة. بل يبدو أنها كانت الأكثر عدداً، بشهادة نصٍّ لدى ابن مُزاحم المنقري، يصِفُ فيه بني أسد، إحدى أكبر القبائل عدداً في المنطقة كما

(١) السُمعاني: الأنساب، ط. بيروت دار الجنان ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، مادة «همْدان».

(٢) انظر مُخطّطاً للمدينة تبدو فيه الرُّقعةُ المُخصّصة لبني همْدان في: (خِطط الكوفة) لماسينيون، الترجمة العربيّة، ط. صيدا ١٩٤٦م / ٢.

لا تزال حتى اليوم، بأنّها «**حيُّ الكوفة بعد همْدان**»[1].

كما أنّنا نعرفُ أيضاً أن بني همْدان «**كانوا شيعةً لعلي كرّم الله وجهه ورضي عنه عندما شجَرَ بين الصحابة وهو المُنشدُ فيهم**:

فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّة لقلتُ لهمْدانَ ادخلوا بسلام[2]

وكانوا عِمادَ عسكره في صفّين، وهو القائلُ أيضاً في هذا الشأن:

عيّبتُ همْدانَ وعبّوا حِمْيرا[3].

والحقيقةُ التي لا مِراءَ فيها أنّ هذه القبيلة قد عبّرت في كلّ تاريخها، من قبل هذا ومن بعده، عن ولاءٍ للإمام عزّ نظيره. في الحرب، خصوصاً في صفّين، كانت عِمادَ عسكر الإمام علي عليه السلام. وفي السِّلم كان منها خواصّ أصحابه ورجالُ إدارته وشرَطه. وعندما انفرطَ عقدُ نظام الكوفة، إثرَ داهية التحكيم، فخرج منها المُحكّمة، ومال قسمٌ ضمناً إلى معاوية، ظلّتْ همْدانُ على صلابتها وإخلاصِها.

فما هي عِلّةُ هذا الغياب الآن، والثابتون من أهل العراق والحجاز يُسارعون إلى الانضمام إلى ركب الحسين عليه السلام المُتجه إلى العراق؟

الحقيقةُ أنّ همْدانَ لم تَعُدْ هناك. لم يعُدْ منها في الكوفة إلا عددٌ غير كبير، مثلما تتركُه خلفَها أيُّ حركة سُكّانيّة كبيرة، تحملُ أصحابَها بعيداً عن أوطانهم. لقد طوّحتْ بها هجرةٌ مفروضةٌ، أو هي بالمفروضة أشبه، إلى نواحي الشام، حيث كان لحضورها فيه من جميل الأثر ما لايزالُ حميدُهُ حتى اليوم[4]. وما

---

(١) ابن مُزاحم المُنقري: وقعة صفين، ط. مصر ١٣٨٢ ه باعتناء محمد عبد السلام هارون / ٣١١.

(٢) ابن خلدون: كتاب العِبَر، ط. بيروت ١٩٦١: ٢ / ٥٢٠.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ط. الجامعة اللبنانيّة باعتناء شار بلّا، الفقرة / ١٦٧٩.

(٤) انظر كتابنا «التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسوريّة». فهو مَبنيٌّ على أنّ سرّ انتشار التشيّع في تلك الرقعة من بلاد الشام، خلافاً لكلّ ما هو مُتوقّع، يرجع السرُّ فيه إلى الهجرة الهمْدانيّة الكبرى وبعضُ ربيعة إلى رُبوعه. بعد انهيار المشروع السياسي للإمام الحسن عليه السلام.

أُولئك الثلاثة الذين رافقوا الإمام في الطريق الطويل إلى كربلا، ثم استُشهدوا بين يديه، إلاّ أفرادٌ من البقيّة القليلة التي بقيتْ، لسببٍ أو لغيره، في الكوفة.

(٤)

في مُقابل ذلك العدد الجَمّ من الذين خرجوا مع الإمام من الحجاز من أهل بيته، من أخوته الخمسة، وابني أخيه الحسن عليه السلام ، وأبناء عمه عقيل بن أبي طالب وهم ستة رجال وامرأةٌ واحدة، ـ يأخذُنا العَجَبُ من أن لا نرى بينهم أخاه محمداً المعروف بابن الحنفيّة وأبناءَه الكُثُر[١]. مع أنّه كان إذ ذاك في شَرْخ الشباب[٢]. ومن أبنائه عبد الله المُكنّى أبو هاشم، الذي وُصف بأنه «**كان عالماً شجاعاً جميلاً فصيحاً بليغاً**». ومع ذلك فإننا لا نجد له أدنى ذكر فيما شَجَرَ بين القريب والبعيد من مُختلف المواقف والآراء والمساعي، مع إعلان عمّه العزمَ على الخروج. فكأنّ الأمرَ لا يخصُّه. بل إنه يوصَفُ بأنه «**صاحبُ المُعتزلة**» و «**إمام الكيسانيّة**». ثم يبدو أنه منحَ ولاءَه للحركة العباسيّة الناشطة فيما بعد. وعاش أيامه الأخيرة في مقرّها السرّي بـ «**الحُميمة**»، حيث توفي مسموماً فيما يُقال. كما أنّ من أبنائه الحسن الذي يُوصفُ بأنه «**صاحبُ المُرجئة**»[٣]. وإن وُجد مَن يُفسر الإرجاء عنده بأنه غير الرأي الكلاميّ المعروف. ويُفهم من كل ذلك إجمالاً أنّ في الأمر موقف حَدّيّ من الإمام شخصيّاً. اتخذ فيما بعد هيئة آراءٍ كلاميّة ومواقف سياسيّة بعيدة كلّ البُعد عن نهج وخِطّة الأئمة. والباحثُ

---

(١) بلغ بهم النسّابة ابن عنبة أربعة عشر ذكراً (عُمدة الطالب في أنساب ابن أبي طالب ، ط. قم ١٣٨٣ هـ باعتناء مهدي الرجائي / ٤٣٣). وأحصى له الفخر الرازي ثلاثة عشر (الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة ، ط. قم ١٤٠٩ هـ باعتناء مهدي الرجائي / ٢٨٠ ـ ٨١. وأضاف إليهم مهدي الرجائي اثنين فبلغ بهم ستة عشر في كتابه (المعقبون من آل أبي طالب، ط. قم ١٤٢٧هـ/ ١٣٨٥هـ. ش / ٣٧٩. وعلى كل حال فالعديد كبير.

(٢) توفي سنة ٨١ هـ ، أي بعد يوم كربلا بعشرين سنة. وكان له من العمر ستون أو خمسٌ وستون سنة. أي أنه كان يوم خرج أخوه من المدينة في الأربعين أو الخامسة وأربعين.

(٣) المصادر نفسها.

الطُّلعةُ الصّبور يمكنه تتبّع هذا الاتجاه الانفصالي لدى البيت في الأعقاب[1].

(٥)

هذا، ومع أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو ابنُ الحجاز. فيه وُلد وشبّ وعاش حتى عشيّة كربلا، وكان له فيه المقام السامي والمنزلة العالية، فإننا لا نجِدُ بين الذين وصلوا معه إلى كربلا إلا سبعة رجال حجازيين. أحدهم صحابيٌّ من السابقين هو زاهر بن عمرو الأسلميّ الكِنْدي، الذي كان من الذين بايعوا بيعة الشجرة. وثلاثةٌ منهم من الأنصار هم جُنادة بن كعب الأنصاري المذحجي، وعبد الرحمان بن عبد ربّه الأنصاري الخزرجي، وعمر بن جُنادة بن كعب الأنصاري الخزرجي. وثلاثة أيضاً من بني جُهينة الذين كانوا ينزلون حول «**المدينة**» هم عبّاد بن المهاجر الجُهني، وعقبة بن الصلت الجُهني، ومجمع بن زياد بن عمرو الجُهني. وهذا العديدُ القليل بالنظرة الشاملة مُفارَقَة. فالقاعدة أنّ المرءَ يكسبُ الأنصارَ والأعوانَ عادةً من الوسط الذي يعيشُ فيه. خصوصاً إذا كان في مثل شرف الإمام وجميل صفاته. فلماذا لم يفُز الإمام الحسين عليه السلام من الأنصار في وطنه إلا بذلك العدد الضئيل؟

وما من تفسيرٍ لذلك إلا في ميل أهل الحجاز عن علي عليه السلام ووُلده. وهو من الحقائق التاريخيّة المعروفة. ومن ذلك أن بيعةَ الإمام في «**المدينة**» بالخلافة، على أثر مقتل عثمان، ما كانت لتحصل لولا خروج الأمر من يد رجالات قريش، بسيطرة العناصر الغاضبة القادمة من العراق ومصر على الحِراك السياسي في العاصمة. ثم أنّ الذين خرجوا من الحجاز مع الإمام أمير

(١) وقد وُجدَ مَن اعتذر لابن الحنفية بالمرض، أو بأن الإمام قد أذن له بالبقاء في مكة ليكون عيناً له. (انظر: الشيخ المفيد: الجمل أو النّصرة في حرب البصرة، ط. النجف ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م / ١٨٠). ولكننا بعد البحث لم نعثر على مُستند حقيقي لهذا الكلام. وعلى كل حال فإنّ ما استعرضناه يتجاوز شخصَ ابن الحنفيّة إلى أُسرته وأعقابه. وانظر لدى الخوارزمي (مقتل الحسين / ٧٩ ـ ٨٢) روايةٌ مُسهبة عن شخوص ابن الحنفيّة إلى يزيد بعد كربلا ومقتل أخيه ومبايعته وقبول صلته. وهو ، إن صحّ ، أمرٌ كبير.

المؤمنين عليه السلام في أثر طلحة والزُبير، بعد أن أعلنا نكثَ البيعة والعصيان، لم يكونوا إلا بضع مئين. ولولا الأُلوف الذين التحقوا بعسكره من أهل الكوفة، لَما كان لنصر يوم الجمل أن يحصل. والمعروف أنّ هذا المَيل تأصّلَ لدى قريش منذ أن كانت تقودُ الشّركَ العربيّ في مُقابل الدعوة الإسلاميّة الناشئة، ودور الإمام في المواطن في قمع قريش وقتل رجالها. الأمر الذي يبدو أنه سكن ذاكرتها، وبنَتْ عليه مواقفها من الإمام ووُلده في الأحداث الآتية.

(٦)

المُلاحظةُ الأخيرةُ تتصلُ بمَن خرجوا مع الإمام من أهل البصرة. والمعروفُ أنّ هذه المدينة كانت عثمانيّةَ الهوى. ولهذا السّبب وقعَ اختيارُ الناكثين عليها، فنزلوها واتخذوا منها قاعدةً لعملياتهم ضدّ الإمام. والحقيقةُ أنّ البصرةَ لم تُخيّب رجاءَهم. ممّا يدلُّ على أنّ حساباتهم في هذا الشأن كانت دقيقةً صائبةً إلى حدٍّ بعيد.

لكنّ هذا التقرير، على صحته إجمالاً، لا يعني خلوَّ المدينة ممن يُشايعُ الإمام. ونحن نملكُ معلوماتٍ دقيقةً عن هؤلاء، فيما سطره المؤرخون على المجموعات القبَليّة التي تقدّمت للقتال مع الإمام في صفّين، حيث عُقدت الألوية وأُمّرَ الأُمراء. سنذكرهم استناداً إلى وقعة صفين للمنقري، وبالصيغة التي أتى على ذكرهم بها، أي منسوبين إلى البصرة:

مُضر البصرة، بكر البصرة، تميم البصرة، سعد ورباب البصرة، عمرو وحنظلة البصرة، ذُهل البصرة، لهازم البصرة، عبد القيس البصرة، قريش البصرة وقيس البصرة[1].

وهذا الإحصاء، وإن كان لا يدلُّ على عديدٍ بعينه، ولكنّ في مُجرّد تخصيص

(١) نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، ط. مصر ١٣٨٢ هـ / ٢٠٥-٢٠٦.

كلٍّ من هاتيك القبائل البصْريّة بلواءٍ وأمير، لدليلٌ وافٍ بأن كلاً منهم لم يكن قليلاً بنفسه.

ربما من هنا، وأيضاً لما علّقنا به أعلاه على أهل الحجاز، رأينا الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد في حُجج الله على العباد) يخصُّ مَن خرج من أهل البصرة مع الحسين عليه السلام بالذكر فيقول: اجتمع إلى الحسين **«مدّة مقامه بمكة نفرٌ من أهل الحجاز ونفرٌ من أهل البصرة»**[1].

والقارئ الذي يُرجعُ البصرَ الآن في القائمة الثانية، التي أحصينا فيها أسماء مَن كانوا مع الإمام من غير أهل بيته، سيستخرجُ منها ثمانيةَ أسماء لبصريين. ستةٌ منهم من عبد القيس هم: الأدهم بن أُميّة العبدي، وسيف بن مالك العبدي، وعبد الله بن يزيد العبدي، ويزيد بن ثبيط العبدي، وعامر بن مسلم العبدي، ومولاه سالم. وواحدٌ من تميم هو الحجّاج بن بدر/ زيد السّعدي التميمي. وواحدٌ أيضاً من نمير هو قعنب بن عمرو النّميري.

هناك أمرٌ جامعٌ آخرٌ بين أُولئك الثمان، هو أنّهم جميعاً التحقوا مُبكّرين بالحسين عليه السلام، أثناءَ الأشهر التي قضاها في مكة، بعد أن خرج من المدينة. ثم لم نعُد نسمعُ من البصرة حِسّاً في الأحداث الجِسام التالية، على كثرة عدد الشيعة بين أهلها، كما شهدتْ هي لنفسها في مَن حشدت وراء أمير المؤمنين عليه السلام في صفين. فكأنها لم تَعُدْ هناك.

وتفسير ذلك غير عسيرٍ على المؤرّخ الخبير، الذي يُحسن تركيبَ الأحداث من مُفرداتها المُبعثرة في الأخبار.

ذلك أنّ الإمام أثناءَ مقامه في مكّة لم يكُن يركنُ إلى الدِّعة في حَرَم الله وأمنه. وإنما كان يعملُ جاهداً في التحريض على النهوض معه. فيلتقي الوفودَ

(١) المفيد: الإرشاد إلى حُجج الله على العباد، ط. قم لات / ٢١٨.

القادمةَ لموسم الحجّ ويُحدّثهم، ويبعث الرّسُلَ حاملين كُتُبَه إلى مَن يعرفُ منهم الاستقامةَ ويأملُ منهم النُّصرة. وكان ممّن كتبَ إليهم عددٌ من أشراف البصرة وروؤس الناس فيها[١]. فاجتمع الشيعةُ في بيت امرأةٍ من عبد القيس يتدارسون الموقف، اسمُها مارية بنت مُنقذ. **«كانت دارُها مألفاً للشيعة يتحدّثون فيها»**[٢]. ممّا يؤخذُ منه أنّها كانت ذات مكانة، أو أنّ الشيعة كانوا يتخذون دارَها مجمعاً لهم، إمعاناً في التخفّي من عيون والي البصرة الدّاهية آنذاك عُبيد الله بن زياد.

والحقيقةُ أنّ كُتُبَ الإمام آتتْ ثمراتِها بسرعةٍ وقوّة. وطفق ناسٌ من أهل **«البصرة»** يعقدون الاجتماعات الحاشدة بدعوةٍ من هذا أو ذاك من رؤوس المدينة وأشرافها. حيث يُتلى عليهم كتابُ الإمام أو مـوَدّاه، ويتدارسون الموقف. وكانت الاجتماعات تنتهي دائماً بإعلان النُّصرة للإمام فيما دعاهم إليه. أي أن الأُمور كانت تُبشّرُ بكلّ خير. وأن شيعة البصرة كانوا يُعدّون ويستعدون، تحت ستارٍ من الكتمان، لليوم الكبيرالموعود الذي يصِلُ فيه الإمام إلى الكوفة.

لكنّ خيانةَ أحد الذين تلقّوا كتابَ الإمام قَلَبَ الأُمورَ رأساً على عقب. ذلك هو المُنذر بن الجارود العبدي، الذي لم يكتم ما أتاه، بل جاء بالكتاب وبحامله الرسول سليمان إلى صهره على ابنته عُبيد الله بن زياد، خشيةَ أن يكون دسيساً منه بزعمه. فسارعَ هذا إلى اتخاذ كلّ تدبيرٍ استباقيّ. ومن ذلك أنه قَطْعَ كافة الطُّرُق الموصلة إلى الكوفة من جهة البصرة **«فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام وإلى طريق البصرة. فلا يدَعون أحداً يَلِج، ولا أحدَ يخرج»**[٣].

(١) الطبري: ٥ / ٣٥٧.

(٢) كامل الجبوري: نصوصٌ من تاريخ أبي مِخنف، ط. بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ١ / ٤٠٥.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، ط. بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م: ٤٤ / ٣٧٠.

فهذا البيان لِما اضطربتْ فيه البصرةُ، يومَ كان الحسينُ عليه السلام في مكة، يتأهّبُ ويؤهّبُ للمسير إلى الكوفة، يُفسّرُ قِلّةَ عديد مَن كان معه من البصريين يومَ سلكَ الطريقَ إليها، على كثرة عدد شيعته في البصرة. على أنّه يجبُ أن نأخذَ بعين الاعتبار أيضاً، أنّ مطلبَ الإمام، حين سَطَرَ كُتُبَه إلى مَن يتوسّم فيهم الخيرَ من رؤسائها، لم يكن مصيرَ مَن خاطبهم إليه في مكة. بل أن يناصروه حين يجيءُ الكوفة. إذن، فالأرجحُ أنّ مُبادرةَ أولئك الثمان إلى الالتحاق به مُبكّرين في مكة، إنما كان لأمرٍ خاصٍّ. ربما كان ما لهم من موقعٍ ممتازٍ في الحِراك القادم، الذي كان موضعَ التخطيط والإعداد آنذاك. خصوصاً إذا لاحظنا أن ستةً منهم كانوا من عبد القيس. ذلك البطنُ من ربيعة، ذو التاريخ النقيّ والمَجيد في الجهاد مع أمير المؤمنين ثم ابنه الحسن عليهما السلام من قبل. ممّا يحملُنا على الظنّ أن التحاقهم المُبكّر بالإمام في مكة كان بأمرٍ أو رغبةٍ منه.

١ ـ الحسين في «المدينة»

(١)

بدايةُ النهاية

بدأ مُسلسَلُ الأحداث، التي انتهتْ في كربلا، في «**المدينة**» بإعلان موت معاوية (ت: رجب سنة ٦٠ هـ / نيسان سنة ٦٨٠ م). بعد أن كان قد مهّد للبيعة لابنه يزيد من بعده. وموتُ رجلٍ كمعاوية لم يكُن نهايةَ شخص بل نهايةَ عهد. فهو قَطْعٌ فاصلٌ بين عهدين بأكثرَ من معنى.

فلقد كان معاويةُ رجلاً لا كالرجال. حباهُ خالقُهُ مقدرةً فذّةً على التنظير والتخطيط، وعلى سَوْق الناس سَوْقاً إلى الموقع الذي يُناسبُ أغراضَه ومراميه. وما كان فيه من ضَعفِ الرجالِ إلا هواهُ في ابنه وحيده يزيد.

لكنّه صرفَ تلك المقدرة الفذّة إلى أمرٍ واحدٍ لا يعدوه، هو استعادةُ موقع الارستقراطيّة القرشيّة المُهيمنة في مكة، التي كانت تبسطُ سلطانَها على كافّة المؤسّسات الدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة في الحجاز، بعد أن انتزعه الإسلامُ منها انتزاعاً. وفي هذا السبيل فإنّه استولدَ بدهاءٍ ما بعدَهُ دهاء (إسلاماً) أخَرَ. ليس فيه من الإسلام الأصلي إلا الشكلُ والشعاراتُ والمراسم. لكنّه، في تركيبته الفكريّة ومنظومته الأخلاقيّة ومراميه الاجتماعيّة، نظامٌ مُختلفٌ كلَّ الاختلاف. بحيثُ أتى على مقاس أطماعه هو في مُلكٍ مُريحٍ

له. وأتى على مقاسِ حكمٍ طويلٍ لبيته من بعده. وهـذا أشبهُ بمَن يستخدمُ قوّةَ خصمه في التغلُّب عليه في فنونِ القتال المُتقدّمة. ومن هنا رأيناه دائماً يُغطي حقيقةَ مقاصدَه بشعاراتٍ بارعةٍ، ينتزعُ مُفرداتِها من القاموس الإسلامي. بحيثُ يفتنُ الناسَ عن حقيقتها. وهذا فنٌّ من فنون السياسة الواطئة والقيادة الخادعة، بل هو لبُّهما.

أمّا ابنهُ وخليفتهُ يزيد، فقد كان من طينةٍ مُختلفةٍ كلَّ الاختلاف. كان امرئً قد تربّى على نَيْلِ ما يريد كيفَما أراد وحيثما أراد. وفي طلب اللهو واللذّة من حيثُ تأتّيا له، دون أدنى اكتراثٍ منه بالحَدّ الأدنى من السِّتر، مُراعاةً لموقعه بوصفه ابناً لـ (خليفة) المسلمين، حارسِ الدنيا والدين. «**كان ناصبيّاً فظّاً غليظاً جلفاً. يتناولُ المُسكر، ويفعلُ المُنكَر**»[1]. وكان مُستبدّاً طاغيةً نَزِقاً، يفتقرُ إلى الحدِّ الأدنى من الحِنكة السياسيّة.

ثم أن وفاةَ معاوية كانت نهايةً لعهدٍ من السّلام البارد، عِمادهُ وعنوانُهُ الصُّلحُ الذي وقّعه معه الإمام الحسن عليه السلام حُكمَ ضرورة. وبموجبه انفردَ معاويةُ بالحُكم. ومع ذلك فإنّه عَملَ على اغتيال الحسن، خشيةَ أن يموتَ هو في حياة الإمام، فترجعُ الخلافةُ إليه، كما يقضي أحدُ بنودِ الصلح. ومع ذلك أيضاً فإنّ الإمام الحسين عليه السلام، أثناءَ عقدين من الزمن بعد وفاة أخيه، لم يُحرّك ساكناً في وجه معاوية، لاعتباراتٍ في رأسها، فيما نُخمّن، احترامُ توقيع إمامِه وأخيه. إلا ما قد يكونُ منه من موعظةٍ أو لوم حين يرتكبُ معاويةُ ما لا ينبغي لمثله السكوتُ عليه. بل إنّه كان يأمرُ شيعتَه بأن يخلدوا إلى الأرض، ويكمنوا في بيوتهم، ما دامَ معاويةُ حيّاً.

ذلك الوضعُ السياسي انهدمَ كلُّه بوفاة معاوية. انهدمَ بسقوطِ عقدِ الصُلح

(١) الذهبي: سِيَر أعلام النبلاء، ط. بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م باعتناء مأمون الصاغرجي: ٣٧/٤.

وما حَمَلهُ من سلامٍ بارد، لأنه كان عقداً محصوراً بمُستفيدٍ واحدٍ مات. وانهدمَ بمجئ شخصٍ في مثل انحراف يزيد غير المكتوم إلى المنصب الذي شغرَ بوفاة رسول الله صلوات الله عليه وآله. كان السكوتُ على ذلك من أيّ مسلم بمعنى وقوّةِ منحه الشّرعيّة. أي، بكلمة، وضعُ نقطة النهاية على أدنى أملٍ بالتصحيح. وهو وضعٌ أقلُّ ما يُقالُ فيه أنّهُ يُسقطُ حُكمَ الضرورة.

ولقد كان معاويةُ يُقدّرُ بحقٍّ أنّ الخطرَ الجدّيّ على الخلافة لابنه لن يأتي إلا من قِبَلِ الإمام الحسين عليه السلام. ولذلك فإنّه في السنة الأخيرة من حياته حجّ قاصداً، فيما يبدو، أن يُمهّدَ أمرَ البيعة لابنه في الحجاز، خصوصاً مع الإمام. وفي سبيل ذلك عقدَ معه عدّةَ لقاءاتٍ في «**المدينة**» ثم في مكة، تحدّث فيها مُرهّباً ومُرغّباً، حتى أنه وصلَ في الترغيب إلى حدّ القول أنّه إذا قدّمَ الإمامُ يزيدَ باسم الخلافة، يكون له (أي للإمام) بعد ذلك الأمرُ والنهي[1]. أي أن تكونَ له السُلطةُ الفعليّةُ. ولا يكون ليزيد إلا اسم الخلافة. وطبعاً كان ذلك أقصى إغراءٍ يمكن لمعاوية بذله. وطبعاً أيضاً كان ذلك العَرْضُ خدعةً مكشوفة. كان أشبهَ بوعدٍ لمُقاتلٍ في ساحة المعركة بالسلامة والغنيمة، إنما بعد أن يُلقي آخر سلاحٍ في يده. وطبعاً ثالثاً فإنّه لم يسمع من الإمام إلا كلمة الرفض. فغادر مكّة خائبَ المسعى.

هكذا كان معاوية، رجلَ سياسة بالدرجة الأُولى. يطلبُ الأشياء من أبوابها، فإذا استغلقت عليه استكان ينتظر الفرصة. هذا مع علمه بقُرب منيّته لاشتداد العلّة به.

أمّا ابنه ووليّ عهده يزيد فقد كان على ما وصفه المؤرّخ الذهبي «**فظّاً غليظاً جافياً**». يفتقرُ إلى الحدّ الأدنى من الكياسة والحنكة السياسيّة كما قلنا قبل

(١) ابن أعثم : كتاب الفُتوح ، ط. حيدر آباد لات :٤/٢٤٥.

قليل. وهكذا في وِسع القارئ أن يرى معنا أنّ المُتغيّر في رأس الدولة كان أيضاً، بل بالدرجة الأُولى، مُتغيّراً في الذهنيّة التي تُعالَج بها الأزمات.

لذلك فإنّه لم يكن ليزيد من بعده من همٍّ إلا أن يأخذ البيعة لنفسه من أهل الحجاز بأيّ ثمن. ولكنّه كان يعرفُ جيّداً أنّ هذا لن يتأتّى له دون أن يضمنَ، على الأقل، سكوت ثلاثة أو أربعة، كان أبوه قد أوصاه فيهم بوصيّة مفصّلة[1]. أحدهم الإمام الحسين عليه السلام، الذي خصّه، إن صحّت الوصيّة أو صحّ التشخيص، بقوله: «**إن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه، فإنّ له رحماً ماسّةً وحقاً عظيماً**»[2]. وهذا، وخصوصاً تشخيص السّبب بزعمه، يعكسُ دهاء معاوية وبُعد نظره في الأمور. على أنّنا نعرف جيّداً من تاريخ الرجل أنّه ليس ممّن يحولُ بينه وبين ما يروم لا الرّحم الماسّة ولا الحقّ العظيم. ولكن يبدو أنّه أراد أن يُسجّل موقفاً نبيلاً. ولذلك تعمّد أن يُدلي بوصيّته جهاراً. ولولا ذلك لم تصِل إلينا. ولو انّ قصدَه كان في ابنه حقّاً لسارّه بها سِراراً. وعلى كلّ حال فإن كلاماً كهذا هو بمثابة منح أمان للإمام مهما يفعل. وربما كانت وظيفة هذه الوصيّة العلنيّة التغطية على أُخرى مكتومة.

مهما يكُن فإنّ يزيداً ما أن استقرّ على كرسي الخلافة حتى كتب إلى واليه على المدينة وابن عمّه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كتاباً نعى فيه معاوية. أرفقه بصحيفةٍ صغيرة «**كأنّها أُذنُ فأرة**» فيها:

«**أمّا بعد. فخُذ حسيناً وعبد الله بن عُمر وعبد الله ابن الزُبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست في رُخصة حتى يُبايعوا. والسلام**»[3].

---

(١) نصّها في تاريخ الطبري: ٥ / ٣٢٢.
(٢) نفسه.
(٣) أيضاً: ٥ / ٣٣٨.

والمفهوم من هذا الإجراء المُعقّد أن الكتاب الأوّل هو برسم الإعلان على الكافّة. أمّا الثاني فهو سريٌّ وخاصٌّ.

كان الوليدُ، على خلاف من دخلوا في لُعبة السياسة من باب عثمان من أُسرته، مؤثراً للسّلامة. ينأى بنفسه عن مواطن الخلل في الشرف أو الدين، كما يفهمه. لم يؤثَر عنه، قبل ولايته هذه على «**المدينة**»، إلا أنّه وليَ الموسم (يعني إمارةَ موسم الحجّ) مرّات. وسنشهدُ له فيما سيأتي غير موقفٍ سليم من الإمام عليه السلام. ومع ذلك فإنّ المسكين اغتيل في فوضى الصراع السفياني ـ المرواني على الخلافة بعد «**كربلا**»،لا لذنب جناه بل لأن أهل الشام أرادوه على الخلافة عقب مقتل معاوية الثاني بن يزيد[1].

ما أن أتى الوليدَ كتابُ يزيد حتى «**فظِعَ له وكبُر عليه**». ليس لموت معاوية، كما فهم راوي الخبر أبو مخنف، بل لِما أُمر به من أخْذ أولئك الثلاثة بالبيعة «**أخذاً شديداً**». وهو الذي يعلمُ علمَ اليقين أن هذا المطلب ليس بالأمر اليسير. وأنّ الحسين وابن الزُبير خصوصاً لن يُعطيا عن يد. ولن يُبايعا شخصاً في مثل خصال يزيد. ثم أنّ لهما من المكانة في نفسيهما وفي قومهما وفي الناس ما سيجعل أخذهما «**أخذاً شديداً**» أمراً له عقابيل وتداعيات كبيرة. لقد استشرف الرجلُ مخاطرَ الآتي، وهو الذي عرفناه مؤثرَ سلامة.

من هنا رأينا الرجل يلجأُ في ورطته إلى مروان بن الحكم. ومروان هو ذلك الثعلبُ الماكر، ومُوقدُ الفتنة في الإسلام. وكان قد وليَ المدينة غير مرّة لمعاوية. وغريبٌ حقّاً أن يأتمن امرؤٌ مثلَ مروان، وهو الذي خان من قبلُ عمّه عثمان، الذي استحضره من منفاه في الطائف، وولاّه خدمته وجعل إليه

(١) انظر الترجمة له في: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣٥٠ برقم (٣٥٧) حيث يقول: «أراد أهل الشام الوليد بن عتبة على الخلافة فطُعن فمات بعد موت معاوية بن يزيد». والظاهر أنه اغتيل بالسُمّ أو بغيره، مثل يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم، في الصراع الضاري على الخلافة بين السفيانيين والمروانيين، الذي انتصر فيه بنو مروان في النهاية. وهو من عقابيل جريمة يوم كربلا. وقد بسطنا الكلام على هذا في كتابنا (موكب الأحزان) / ٦٠ وما بعدها.

خاتمه الرسمي. ومع ذلك فإنّه بسوء رأيه وخُبث طويّته قاده إلى حتفه. ونخالُ أنّ الوليد، الذي كان يعرف كلّ ذلك ولا ريب، لم يرَ ممّا انتهى إليه من إشراكه في أمره إلا أنّه شكلٌ من أشكال تقاسُم المسؤوليّة فيما هو مفروضٌ عليه مع شيخ البيت الأموي آنذاك في الحجاز، يُزيحُ عن كاهله جزءاً من المسؤوليّة.

المهمّ أن الاثنين جلسا وبينهما كتابُ يزيد وأمرُه السّرّي. يُجيلان وجوه الرأي في تدارُك الأُمور قبل انتشار خبر موت معاوية. وكان من رأي ابن الحكَم أن قال:

«إنّي أرى أن تبعثَ الساعة إلى هؤلاء النّفَر فتدعوهم إلى البيعة والدّخول في الطاعة. فإن فعلوا كففتَ عنهم. وإن أبوا قدّمتَهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا موت معاوية»[1]

وبعد أن اتفقا على أن لا خوفَ من ابن عُمر، بعث الوالي رسولاً يدعو الإمامَ عليه السلام وابنَ الزُبير. الأمر الذي أثار لديهما تساؤلاً عن سبب هذه الدعوة المُفاجئة في غير الوقت الذي يجلسُ فيه للناس. وخمّن الإمامُ بسرعة ما هو وراء هذه الدعوة تخميناً صحيحاً بأن قال لابن الزُبير: «**إنّي أرى أنّ طاغيتهم قد هلك. فبعث إلينا ليأخُذنا بالبيعة قبل أن يفشوَ في الناس الخبر**». وعليه فقد احتاطَ للأمر، بأن جمع إليه مواليَه واهلَ بيته. وأقبل في موكبٍ منهم إلى مجلس الوالي ودخل عليه، بعد أن أوصاهم بما يلزم.

دخل الإمام مجلسَ الوليد ومروان جالسٌ عنده. وطبعاً تجاهل ظنّه الصائب بوفاة معاوية. وقبل أن يجلس خاطبَ الرجلين بقوله: «**الصّلةُ خيرٌ من القطيعة. أصلحَ اللهُ ذات بينكما**». لأنهما كانا مُتقاطعيَن منذ أن عُزل مروان ووُلّيَ ابن عتبة

(١) الطبري: ٣٣٨/٥.

على المدينة. وما أن جلس حتى أخرج له الوليد كتاب يزيد، ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى البيعة. فكان جواب الإمام: «**إنّ مثلي لا يُعطي بيعتَه سرّاً. ولا أراك تجتزئُ [تكتفي] بها منّي سرّاً، دون أن نُظهرَها على رووس الناس علانيةً**». فقال الوليد: «**أجَلْ**». أي أنه بالفعل لن يكتفي بأخذ البيعة من الإمام سرّاً. فتابع الإمام: «**فإذا خرجتَ إلى الناس فدعوتَهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً**». فأجابه الوليد، الذي عرفناه مؤثراً للعافية نائياً بنفسه عن مواطن الخلل: «**انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس**». ومن الواضح أن الإمام سعى منذ اللحظة التي التقت فيها الوجوه إلى إنهاء الجلسة بسلام. وأنّه لم يلتزم بشئ. كلُّ ما أعطاه أنه إذا ما دُعي للبيعة مع الناس «**كان أمراً واحداً**» دون تحديد.

والظاهر أنّ الداهية مروان التفت إلى مغزى كلام الإمام، فخاطب الوليد قائلاً:

«**والله لئن فارقكَ الساعة ولم يُبايع لا قدرتَ منه على مثلها أبدا حتى تكثُرَ القتلى بينكم وبينه. احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يُبايع، أو تضرب عنقه**».

فوثب الإمام واقفاً وخاطب مروان بقوله: «**يابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبتَ والله وأثمت !**». ثم خرج.

ولا يذكرُ الذّاكرون ما كان جوابُ ابنُ الحكم على كلمات الإمام الحازمة. ولعلّه لم ينبس ببنت شفة. ولعلّه أُخذ بالكلام القوي الذي سمعه من الإمام. ولعلّ ذلك المُغترّ لم يكن يتوقّع أن يسمعَ مثلَه بحضور مُمثّل السُلطة وفي مجلسه. ومن المؤكّد أنّ الوليد لم يكُن راضياً عمّا تفوّه به مروان. ولكن كان في فمه ماء بالنظر لرسالة يزيد السّرّيّة. فلم ينبس هو الآخَر ببنت شفة.

ما أن خرج الإمام حتى شجر بين الرجلين. فوبخ ابنُ الحكم الوليدَ على إدارته للجلسة. فأجابه هذا بجوابٍ حازمٍ قال فيه:

«وبّخ غيـرَكَ يا مروان ! إنك اخترتَ لي التي فيها هلاكُ ديني. والله ما أُحبُّ أنّ لي ما طلعتْ عليه الشمسُ وغرُبت عنه من مال الدنيا ومُلكها وأنّي قتلتُ حسيناً. سبحان الله، أقتلُ حسيناً أن قال لي لا أُبايع؟! والله لا أظنُّ امرءاً يُحاسَب بدم الحسين لخفيف الميزان يوم القيامة»[1].

(١) الطبري: ٥ / ٣٤٠.

٢. نهايةُ البداية

تلك الجلسة العاصفة، التي لم تطُل غير بضع دقائق فيما يبدو، والتي قصدَ الإمامُ أن يبدأها بدايةً لم تخلُ من بعض مودّة ظاهريّة، هي لحظةٌ من لحظات الدهر. كانت بمثابة البادئ لسلسلةٍ من الأحداث الآخذ بعضها برقاب بعض. وصلت إلى ذروتها بعد ستة أشهرٍ بيوم «**كربلا**» المشؤوم، الذي لم يكن ما بعده مثلَ ما قبله. وما تزال أصديته الانقلابيّة تتردّد في النفوس والأحداث.

بعد ذلك اللقاء، الذي سقطتْ فيه الأقنعة وبَرِحَ ما في النفوس، باتَ من الواضح أنّ الحسين عليه السلام لم يعُدْ له مكانٌ في مدينة جدّه صلوات الله عليه وآله. خصوصاً في ظلّ تتابُع الرُّسُل إليه تدعوه للبيعة علناً. وخصوصاً أيضاً أنه قد غدا من غير المكتوم أنّ الوليدَ قد انكفأ انكفاءَ مَن يرغبُ بنفسه عن الانغماس في المُدلهمّات الآتية. وأنَ مروان قد غدا الوالي الفعلي الذي يُدبّر الأُمور، وهو مَن هو بتاريخه الأسود. وإن بقي الوليدُ بعدها الوالي الرسمي لمدّة شهر، قبل أن يُعزل ويُولّى عمرو بن سعيد الأشدق كما سنعرف.

في هذا الجوّ المُنذر بأسوأ العواقب لم يبقَ أمامَ الإمام عليه السلام إلا الخروج من المدينة. وفي ليلة الأحد ٢٨ رجب سنة ٦٠ هـ وصل الضغطُ عليه ليُبايع إلى أقصى ما كان. إذ جاءه الطلبُ بثمانين فارساً. وهذا تصعيدٌ مقصود، يُنبئُ بتحوّلٍ جذريٍّ في سياسة السُلطة المحلّيّة تجاهه، ورسالةٌ واضحة وغير مسبوقة. تقولُ بأبين لسان أنّ الأمرَ سيُعالَجُ منذ الآن بأقسى الوسائل. والقارئُ الحصيفُ الذي

رافقنا فيما فات، وخَبِر الرجال الذين عملوا في هذا المُضطَّرَب، لَيرى في هذا بصمات مروان بن الحكم واضحةً جليّةً لا خفاءَ فيها.

صرفَ الإمامُ الفرسانَ الثمانين بالحُسنى «**أصبحوا ثم ترون ونرى**». ثم ما لبث أن أقلع باتجاه مكّة. وهذا يدلُّ على أنّه كان يتوقّع تلك الخطوة أو مثلها من مروان، وأنّه قد أعدّ للأمر عُدّته. وأنّه قد هيّأ ما ينبغي تهيئته لمثل تلك الرحلة الطويلة. وأنّه كان قد أخطر بنيه وبني أخيه الحسن عليه السلام وبعض أهل بيته، كيما يكونوا هم أيضاً متأهّبين عند الطلب.

ولقد كان خروجُ الإمام من المدينة حمّالَ غير معنى. فهو بمعنىً خروجٌ مادّيٌّ عن مركز السُلطة، ونأيٌ بالنفس عن أجهزتها ويدها القمعيّة. وبمعنىً غيره بمثابة إعلانٍ صريحٍ بالقَطْع معها وتحدّي إرادتها، وليكُنْ من بعد ذلك ما يكون.

ها هنا روايةٌ عن لسان عُقبة بن سِمعان، الذي عرفناه من قبلُ الناجيَ الوحيدَ من بين موالي الإمام يومَ كربلا، وراوياً لِما شهده من أحداث تلك الأيام ذات الخطر التي كان شاهد عِيان لها منذ المدينة حتى كربلا. قال:

«**خرجنا [من المدينة] فلزمنا الطريقَ الأعظم [أي الطريق الرئيسة من بين طُرُقٍ كثيرة فرعيّة]. فقال للحسين أهلُ بيته: لو تنكّبتَ الطريقَ الأعظمَ كما فعل ابنُ الزُبير، لا يلحقُكَ الطلب؟.**

قال: لا، والله لا أُفارقُه حتى يقضي اللهُ ما هو أحبّ إليه»[1].

الرّواية في الغاية من الأهميّة. فهي تدلُّ، أوّلاً، على أنّ الإمام في خروجه كان يقومُ بفعل تحَدٍ صريحٍ لإرادة السُلطة، المُتمثّلة آنذاك بابن الحكم. ولذلك فإنه لم يعمد إلى تضليلها بسلوك طريقٍ من الطرقات الكثيرة الفرعيّة. وتدلُّ،

(١) الطبري: ٥ / ٣٥١.

ثانياً، على أنّه، أي ابن الحكم، قد استوعب التحدّي. وعرف أنّه أعجزُ من أن ينال من الإمام بسوء بعد أن خرج من المدينة. ولذلك فإنه لـم يلجأ إلى تنظيم فرقة مُطارَدةٍ كبيرةٍ له. كما فعل قبل يومٍ أو يومين مع ابن الزُبير. وهي نفسها الفرقة التي طوّقت منزل الإمام في المدينة ليلة خروجه.

ممّا لا ريب فيه أنّ الإمام في حساباته الدقيقة والصائبة التي بنى عليها تحرّكاته حتى الآن، لم يكن يستند إلى ما تحت يده من قوّةٍ ماديّة ـ قتاليّة. نعرفُ أنها كانت محصورةً حتى ذلك الأوان في أهل بيته وذوي قرباه. وحتى هؤلاء لم يكونوا جميعاً بجانبه. أبرزهم أخوه محمد المعروف بابن الحنفيّة وأبناؤه الكثيرون، الذين خذلوه يوم كان أحوجَ مايكون إلى الناصر. بل كان يستند إلى موقعه المعنوي بوصفه سبط النبي صلوات الله عليه وآله. ومن هنا خاطبه عبد الله بن مُطيع العدوي[1]، وقد التقى به الإمام أثناء طريقه هذا ، وهو يُحسّنُ له لزومَ مكة، فقال:

«الزم الحَرَم، فإنك سيّد العرب، لا يعدلُ بك والله أهلُ الحجاز أحدا. ويتداعى إليك الناسُ من كلّ جانب»[2].

هذا التحليل يطرحُ سؤالاً: هل كان الإمام حين خرج من المدينة عازماً على قصد الكوفة بعد مكة؟

هذا السؤال طرحه عليه ابنُ مطيع نفسه ضمناً فقال: **«جُعلتُ فداك! أين تُريد؟»** **فأجاب: «أمّا الآن فإنّي أُريد مكة. وأمّا بعدها فإنّي أستخير الله».**

ثم أنّ الإمام كتبَ إلى أهل الكوفة بعد أن أتتهُ كُتُبُهم وبعث إليهم ابن عمّه مسلم يقول: «.... **فإن كتبَ إليّ [يعني مسلم] أنّه قد أجمعَ رأيُ مَلئكم وذوي الفضل**

(١) القُرشي العدوي. كان من رجال قريش جَلَداً وشجاعةً. وكان على قريش يوم الحرّة. واستعمله عبد الله بن الزُبير على الكوفة ، حتى أخرجه منها المختار بن أبي عُبيد. الترجمة له في : تهذيب الكمال للمزّي ، ط. بيروت بتحقيق بشّار معروف ١٤١٣هـ/١٩٩٢م : ١٦ / ١٥٢ ـ ٥٦.

(٢) الطبري : ٥ / ٣٥١.

والحجى منكم على مثل ما قدِمتْ عليّ به رُسُلكم وقرأتُ في كُتُبكم أقدمُ عليكم وشيكاً إن شاء الله»[1].

فهذا وذاك يدلاّن بما لا يقبلُ الرّيب على أنّ الإمام حين خرج من المدينة، بل وإلى ما بعد ذلك بكثير، لم يكُن قد حزمَ أمرَه إلى الكوفة أم إلى غيرها. ولكنّه بالتأكيد لم يكُن يضعُ البقاءَ في مكة في حسابه. وأنه إنما ينتظرُ ما تأتي به الأيام، وما تأولُ إليه مساعيه، ليبني على ذلك حِراكه الآتي.

على أننا ونحن نطرحُ سؤالنا ذاك، ونُجيلُ وجوهَ الرأي في الأقرب إلى الصواب من احتمالاتٍ في الجواب، لا يمكننا أن نتجاهلَ الموقعَ الخاص للكوفة بين البلدان، الذي لا بدّ أن الإمام كان يضعه في حساباته. بوصفها المدينة الوحيدة التي تمركزَ فيها التشيّعُ في ذلك الأوان ولِما بعد ذلك بزمنٍ طويل. أضِفْ إلى ذلك أن أهلها كانوا يكتبون إلى الإمام يدعونه إلى الخروج إليهم في زمن معاوية. ولكنه كان يأبى لأسبابٍ معروفة عرضناها فيما فات. وعليه فإن الإمام لا بدّ أنه كان يتوقّع من الكوفة الآن حركةً ما باتجاهه بعد أن يعرف أهلُها أنه أبى أن يُبايع ليزيد، وأنه خرج من المدينة إلى مكة.

هكذا بدأت النهاية. نهايةُ ذلك السلام البارد،الذي كان فعلَ ضرورة، أملاها قبل عشرين سنة وصولُ المشروعُ السياسي الذي قاده الإمامُ الحسن عليه السلام إلى الحافّة التي ليس بعدها إلا الهاوية. وهكذا انتهتْ البداية بإعلان الإمام الحسين عليه السلام خروجَه على السُلطة بكل المعاني. وجَماعُ كل ذلك التأسيسُ والتمهيدُ لبدايةٍ نضاليّةٍ جديدة.

(١) سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٩٧.

الفصل الثالث

١. الحسين في مكة

(١)

وصل الإمامُ الحسينُ ومَن كان معه إلى مكة، بعد رحلةٍ لم يُعكّر صفوَها شئ. فنزل دار العباس بن عبد المطلب[١]، ممّا يُمكن أن نفهم منه أن سفرَه كان موضعَ تفاهمٍ مُسبَقٍ في محيط الأُسرة الهاشميّة، وأن ترتيبات إقامته فيها كانت قد اتُخذتْ قبل وُصوله. لولا روايةٌ قويّةٌ غيرها تقول أنه نزل بأعلى مكة وضرب هناك فسطاطاً ضخماً. ثم تحوّل إلى دار العباس، حوّله إليها ابنه عبد الله[٢].

ولقد تمّ كلّ ذلك بهدوءٍ تام، ووسط صمتٍ مُطبِقٍ من الدولة وأجهزتها من دمشق إلى الحجاز. وفي المُقابل اتخذت كلّ إجراءٍ قاسٍ وحدّيّ من ابن الزُبير، بتعليماتٍ صريحة من يزيد.

في سياق هذه الأحداث عمَدتْ الدولةُ إلى عزل الوليد بن عُتبة، عقاباً له على فشله في أخذ البيعة ليزيد في الحجاز. وخصوصاً على عدم أخذه بالحزم مع الإمام وابن الزُبير. وبذلك قضتْ على مستقبله السياسي بوصفه أحد شيوخ البيت الأُموي. ليُقتل بعد أربع سنوات في الصراع المكتوم على الخلافة بين البيت السفياني والبيت المرواني. وولّتْ عمراً بن سعيد بن العاص، المُلقّب

(١) سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٩٨.
(٢) الخوارزمي : مقتل الحسين / ١٩٠.

بالأشدق لعِظم شدقيه. الذي سيُقتلُ أيضاً في الصراع نفسه بعد تسع سنوات. قيل قتله عبد الملك بن مروان بيده[1].

في هذه الأثناء كانت الرُسُل تجري بين يزيد وابن الزُبيرفي أمرالبيعة دون أن تصلَ إلى مايكون موضع رضى وتوافق الطرفين. وعلى الأثر وجّه الأشدقُ عمراً بن الزُبير، أخو عبد الله وعدوّه اللدود، إلى مكة لقتال أخيه. ولكنّ الحملة فشلت وقُتل عمروٌ تحت السياط. عقاباً له على كلّ مَن كان قد ضربهم من جماعة عبد الله وذوي قُرباه في المدينة.

نقولُ كلَّ هذا، مع أنه خارج عمود البحث، ليكونَ سبيلُنا إلى ملاحظة في غاية الأهميّة، ألمحنا إليها إلماحاً قبل قليل، هي أن الدولة إذ لاحقتْ ابنَ الزُبير في مكة تلك المُلاحقة الحثيثة، لم تُحرّك ساكناً في وجه الإمام. فكأنّه لم يكُن هناك. وكأن حِراكه السياسي ومراميه غيرالخفيّة، ممّا سنقِفُ عليه بعد قليل، لم يكُن يصِل إلى علمها. هذه المُلاحظة تُكملُ سابقتها، حيث رأينا والي المدينة يُلاحقُ ابنَ الزبيرالمُتجه إلى مكة، دون الإمام.

فلمَ هذا التمييز بالسياسة في أمرين مُتشابهيَن كلَّ التشابُه؟ بل إنّ من المعلوم والثابت أن الدولة كانت تخشى خطر الإمام أكثر ممّا تخشى ابنَ الزُبير.

الذي نظنّه تفسيراً صحيحاً لموضوع التساؤل ما أشرنا إليه قبل قليل، أنّ هيبة الإمام في قلب الدولة كانت أكبرَ بكثيرٍ من هيبتها لابن الزُبير. ولكن هاهنا أيضاً عاملٌ إضافيّ. فابن الزُبير كان نزقاً طائشاً، يفتقرُ إلى بُعد النظر وحِسّ رجل السياسة. ومن ذلك أنّه منعَ صاحبَ الصلاة في مكة من إقامة الصلاة بإمامته كما تقضي وظيفته. وفي هذا تحدٍّ استعراضيّ غير ضروري وغير مُجدٍ، فضلاً عن أنه تعطيلٌ لأمّ الشعائر في البلد الحرام[2].

(١) تهذيب الكمال: ٢٢ / ٣٥ ـ ٤٠ والكامل للمبرّد ،ط.بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م :١ / ٢٠٤

(٢) الطبري: ٥ / ٣٤٤. هنا يربطُ المؤرّخ بين منع ابن الزُبير الصلاة وبين أمر يزيد لوالي المدينة بأن يبعث جيشاً لقتاله.

ومن غير المعقول أن تسكتَ الدولةُ على هذا التحدّي لسُلطتها ومصداقيّتها. أمّا الإمام فإنّه كان يبني حراكَه السياسي بهدوءٍ ودأبٍ، بنحوٍ لا يمنحُ الدولة وأجهزتها المحلّيّة الحُجّةَ للاعتراض عليه.

(٢)

كان خروجُ الإمام من المدينة إلى مكة حدثاً واضحَ المعنى والمغزى بالنسبة للأكثريّة الغاضبة لِما حالَ إليه أمرُ الخلافة في الإسلام. فخروجُه لم يكن صِرفَ تعبيرٍ عن عدم الرّضى، بل قطعاً جذريّاً مع السُلطة وإعلاناً للعصيان. ومن هنا وجدت فيه تلك الأكثريّة الغاضبة، ولكن السّاكتة أيضاً لافتقارها إلى مَن يقودُها، الرّمزَ الذي بدأت تلتفُّ حوله. مُشكّلةً لأوّل مرّة في تاريخ الشعوب الإسلاميّة ما يمكن أن يرى فيه المؤرّخُ حركةً شعبيّة مطلبيّة. تعلنُ انفصالَها عن الطبقة الحاكمة «**شيعة آل أبي سُفيان**» وليس عن شخص الخليفة، كما حصلَ من قبلُ يوم عثمان.

كانت مكةُ الموقعَ المثالي لعمل الإمام، فيما يُناسب مُقتضيات المرحلة. فهي بلدٌ حرام لا يجوز فيه القتل والقتال. وبذلك فإنّه يمنحُ مَن فيه شكلاً من أشكال الحصانة. حقاً أن السُلطة قد استباحته غير مرّة. ولكنّ ذلك حصلَ من بعدُ لأوّل مرّةٍ على يد عمرو بن الزُبير في حربه على أخيه عبد الله. وكانت من الأسباب الرئيسة في وقوف أهلها صفاً مرصوصاً ضدّه. الأمرُ الذي أدّى إلى هزيمته، ومنحَ أخاه عبد الله حُجّةً قويّةً لقتله[1]. وعليه فإنّه يُمكن القول أنّها لم تكن ولن تكون أبداً بالأمر السهل الذي يُمكن ارتكابه كلّ يوم. ثم أنها بلدٌ ذو طبيعةٍ سُكّانيّة مُتغيّرة. يستقبلُ على مدار السّنة أضعافَ أضعافَ سكّانه

(١) خاطب عبد الله بن الزُبير أخاه عُبيدة الذي أجار عمراً بعد هزيمته فقال: «أمرتُكَ أن تُجيرَ هذا الفاسق المُستحلّ لحُرُمات الله ؟!» ثم أمر بضربه بالسياط إلى أن مات (الطبري : ٥ / ٣٤٦).

الثابتين، بين مُعتمرين وحُجّاج ومُجاورين. وبذلك فإنّها تُقدّم فُرصةً فريدةً وسهلةً وفعّالةً لمَن يعملُ على نشْر وإذاعة فكرةٍ أو مشروعٍ أوسعَ إذاعة. تكونُ أداتُه الغادين والرّائحين من المدينة وإليها.

هكذا تآزر خروجُ الإمام من «**المدينة**»، ذلك الخروج الذي تردّدَ صداه في أنحاء الحجاز والعراق، مع نزوله مكة بما تُقدّمه من إمكاناتٍ إعلاميّة، على أن يبدأ عمله التحريضيّ على الدولة بدايةً قويّةً. فكان الناسُ من أهلها والقادمون إليها من مختلف الأقطار، المأخوذون بخطوته الشُجاعة يأتونه، «**فأقبلَ أهلُها يختلفون إليه ويأتونه ومَن كان بها من المُعتمرين وأهلِ الآفاق**»[1]. فيسمعُ منهم ويسمعون منه. والمصادرُ لا تقولُ ماذا كان يدور في تلك اللقاءات. ولكننا ما نشكُّ في أنها لم تكن تخرجُ عمّا تفيضُ به كافة مصادرالباب من القلق على مصير الإمام، بالإضافة إلى رؤىً ذكيّةً بعيدة المرمى، تنظرُ إلى تداعيات وعقابيل أسوأ ما يُتوقّع على الأُمّة. عبّر عنها عبد الله بن مُطيع بأوفى وأوجز ما يكون إذ قال للإمام: «**فداك أبي وأُمّي. متّعنا بنفسك ولا تسِر. فوالله لئن قُتلت ليتخذونا خولاً وعبيدا**»[2]. وكان من أُولئك المُتردّدين على مجلس الإمام عبد الله بن الزُبير، الذي كان يأتي اليومين المُتواليَين، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة. فكان يُشير عليه بالرأي، ويحسّنُ إليه الخروجَ من مكة، لِما عرفه من أنّ أهل الحجاز لا يُبايعونه ولا يُتابعونه مادام الحسين بالبلد. وأنّه أعظمُ في أعينهم وأنفُسهم منه بكثير، وأنّه أطوعُ في الناس منه[3]. وإنّنا ما نشكُّ في أنّ ابن

---

(١) الطبري : ٥ / ٣٥١ و : نصوصٌ من تاريخ أبي مِخنَف ، استخراج كامل الجبوري ، ط. بيروت ١٤١٩ هـ/١٩٩٩م / ٤٠٣. والمقصود من هذا التوثيق الإضافي الإرجاعُ إلى أَصل النصّ عند الطبري . أمّا ابن أعثم الكوفي فيقول : "ولمّا دخل الحسينُ مكة فرح به أهلُها فرحاً شديداً وجعلوا يختلفون إليه غدوةً وعشيّة " (الخوارزمي : مقتل الحسين / ١٩٠). فقوله : " فرح به أهلُها فرحاً شديداً " إضافةٌ إنفعاليّة من خارج مكامن عمل المؤرّخ. ممّا حفل به المصدران. فضلاً عن أنه لا يُناسب ما نعرفه عن أهل مكة وقريش من قبل ومن بعد. والكلامُ نفسه يصحُّ على باقي النصّ.

(٢) سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٩٩. ونصٌّ مُشابه عند أبي مِخنف / نفسه أعلاه.

(٣) سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٩٩. ونصٌّ مُشابه عند أبي مِخنف / نفسه أعلاه.

الزُبير لم يكن وحده في هذا الضيق بوجود الإمام في مكة. وأنّ في ملأ قريش وزعمائها مَن كان لا يقلّ ضيقاً منه بمقام الإمام، إن لم يكُن أكثر.

نخلُصُ من هذا كلّه إلى أنّ وجودَ الإمام في مكة، وما صاحبَ وترتّب عليه من نقاشات مُستفيضة، شارك فيها من أهلها والقادمين إليها من مختلف الأنحاء، قد استولدَ مُناخاً سياسيّاً مُختلفاً عن حالة الصمت والسكوت والاستسلام السّائدة. ومن المفهوم أنّ الإمام كان أثناء جوابه على استفسارات القلقين وأسئلة السائلين عما أوجب امتناعه عن البيعة، وخروجه من المدينة... الخ. كان يُبيّن موقفه السياسي، وأنّ ذلك كان ينتشرُ بين الناس، وأنّ الوافدين كانوا يحملونه إلى أوطانهم. هذا بنفسه إنجازٌ على المستوى السياسي، وتحريكٌ للأكثريّة الصامتة إلى خارج الموقع السكوني الخاضع، الذي يتركُ للسُلطة كامل الحريّة في العمل لِما فيه مصلحتها الضيّقة، دون أن تخشى حسيباً أو رقيبا.

في هذا السّياق، الذي يجب أن يكون نذيراً للدولة، يقتضي إجراءً ما بالمقابل، نُلاحظُ أنّها حافظت على سياسة المُراقبة الصامتة بالنسبة للإمام، كما وصفناها وبيّنّا ما نظنّه سببُها أو أسبابها قبل قليل. اللهم إلا أنّها عمدت إلى عزل واليها على مكة عمر بن سعد بن أبي وقّاص، الذي سارع إلى مغادرتها **«فانحدر إلى المدينة»**[1]، وولّت مكانَه الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي[2]. والمفهوم أنّ المقصود من هذه الخطوة أن تأتي بوالٍ مخزومي قرشي من قلب التركيبة القبَليّة المكيّة، بديلاً عن ذلك المدنيّ الأنصاري الغريب عن مكة وأهلها. وممّا هو غنيٌّ عن البيان أنّ المخزومي سيكون أقدرَ بكثير على ضبط منطقة ولايته، في الاستحقاقات المُتوقّعة، بما يُمثّله من ثقلٍ

(١) الخوارزمي: مقتلُ الحسين / ١٩٠.
(٢) مروج الذهب، الفقرة/ ١٨٩٠.

قبَليٍّ قوي. سواءٌ فيما يتعلّق بحركة عبد الله بن الزُبير، أم فيما يتعلّقُ بحركة الإمام. وكلاهما، بصرف النظر عن الموقع الخاص للإمام، له ثقله القبلي.

إذن فمن الممكن القول أن هذه الخطوة استباقيّة، تأخذ في الاعتبار الاحتمالات المُتوقّعة نتيجةَ أعمال الإمام فيها، وضروة الإعداد لِما هو أسوأ بالنسبة للدولة. فتُحرّك ثقلاً قبليّاً ليوازنَ ثقلاً قبليّاً آخَر.

هنا أيضاً، وبعد إبدال الوالي، لا نُلاحظُ أدنى تغيّر في سياسة السُلطة المحليّة تجاه الإمام. والسببُ واضحٌ من الجانبين. فالإمام من جهته حافظَ على خطّة عدم استفزازها، لأن المصلحة في هذه المرحلة تمنحُ الأولويّة المُطلقة للاتصال بالناس وسماعهم وإسماعهم. وهذا لايتمّ إلا في جوٍّ من الهدوء والاسترخاء، يتحرّكُ الناسُ فيه بحريّة، وتكونُ أبوابُ الإمام مفتوحةً للجميع. والسُلطة من جهتها التزمت ما نُسمّيه اليوم سياسة حافّة الهاوية. كانت تُعلّق أملاً جدّيّاً على حلّ أزمتها مع الإمام حلاً سياسيّاً. كان عقلائُها في الحجاز يعرفون جيّداً أنّ أي صراع مادّيٍّ علنيّ معه سيكون له أسوأ الأثر عليهم.

وحدَهُ الوالي الجديد، الذي لا نعرفُ له سابقةً ولا لاحقةً في العمل للسُلطة، كان يأكله القلقُ من أن تكون نعمةُ الولاية غير المُترقّبة التي نزلتْ عليه سبباً لتوريطه في أمرٍ كبيرٍ بحجم الاشتباك مع الإمام، مهما يكُن سندهُ السُلطوي والقبَلي قويّاً. بعد أن نجا الوالي السابق عمر بن سعد بنفسه منها مؤقّتاً، ليقعَ في المستقبل غير البعيد فيما هو أسوأ بكثير، حيث سيقودُ الجيشَ الذي سيرتكبُ بعد بضع أشهر جريمةَ كربلا المَهولة. وعليه فإنّه، أعني الوالي المخزومي الجديد، حبكَ خطّةً أرادها مُحكَمَةً، ابتغى منها كشفَ خبئ الإمام ونيّته فيما هو آت. فأرسل ابنَ عمٍ له[1] بهيئة ناصحٍ يُحسّن له أن لا يتوجّه إلى الكوفة.

(١) يُسمّيه المسعودي في مروج الذهب ، الفقرة / ١٨٨٩ «أبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام» ويُسمّيه الطبري : ٥ / ٣٨٢ «عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي». والاسمان للشخص نفسه ولا ريب.

فدخل هذا على الإمام وأسمعه مُطالعَةً مُفصّلة، يبدو أنّه كان قد أحسنَ تنميقَها وإعدادَها وتدبيج الأدلّة والبراهين فيها. فكان من جواب الإمام له: «**جزاك الله خيراً يا ابنَ عمّ فقد أجهدكَ رأيُكَ. ومهما يقضِ اللهُ يكُن**»[1]. وهو جوابٌ تخلُّصيٌّ موجَزٌ، أنهى به الإمامُ الكلام، دون أن يُصرّح عن حقيقة نيّته. وكأنّه قد أحسّ بما وراءَ هذه الغَيْرة الزائفة. وخرج الرسول ليدخلَ من فوره على ابن عمّه الوالي، وينقلَ إليه جوابَ الإمام. فإذا صحّ فهمنا هذا للرواية، فما من شكٍ في أنّ الرجل ارتاحَ لِما سمعه. على الأقلّ لأنّ الإمام لم يُصرّح بنيته المكوثَ في مكة. وفي ذلك حبّةُ عينه ورضى نفسه.

على أنّ من المُحتمَل أيضاً أن لا تكونَ هذه الحركة المُتذاكية منه من بنات أفكاره، وأنه كان مُكلّفاً من سادته باستبيان حقيقة نوايا الإمام. فدسّ ابن عمّه كما عرفنا.

(٣)

كان كلُّ ما خُضنا فيه منذ أوّل هذا الفصل صورةً نرجو أن تكون وافيةً بالمطلوب. عملنا فيها على تركيب مشهدٍ لمكة أثناء تلك الشهور ذات الخطر. في قلبها الإمامُ الحسين عليه السلام، وهو يعملُ كلَّ ما في وُسعه لتحريك الناس إلى موقعٍ سياسيّ مُبادرٍ ومؤثّرٍ، بديلاً عن الموقع الخامد المُستلَب الذي وُضعوا فيه بدءاً من اللحظات الأُولى التي تلت التحاقَ نبيّهم صلوات الله عليه وآله بالرفيق الأعلى. ثم مضى التّالون في سُدّة الحكم من بعده يزيدونه ارتفاعاً وقوّةً بكلّ وسيلة. ومن المعلوم، لمَن لديه أدنى علم بفنّ القيادة السياسيّة، أنّ اختراقَ ذلك الموقع ومثله، حيث يوجَدُ شرطٌ ومقدّمةٌ، أمرٌ لا بديلَ عنه وعنها لأيّ عملٍ نهضويّ.

---

(١) الطبري / نفسه. والفتوح لابن أعثم الكوفي: ٥ / ١١٠.

على أنّ من المعلوم أيضاً لكلّ مَن رافقنا في هذا البحث، أنّ وظيفةَ مكة في هذا المشروع كانت محدودةً آنيّةً. لم تكن مكةُ بالنسبة للإمام وهويعمل أكثرَ من رافعة، منبرٌ عالٍ يوصلُ الصوت بعيداً. أمّا العملُ الحقيقيّ والمباشر فقد كان في خطّة الإمام مرهوناً بالصّدى العائد لأعماله.

من هنا يُمكنُ أن نتصوّرَ تصوّراً ما ليس تقولُه النصوصُ، لأنّه من سرائر وخبايا النفوس، أن عينَ الإمام إذ ذاك كانت مُتوجّهةً بعيداً عن حرم الله. وأنّ أُذنه كانت تنتظر الأصداءَ المُتوقّعة، خصوصاً من العراق، حيث البقيّةُ الباقيةُ من رجال وشيعة أبيه عليه السلام، وحيث البقيّةُ الباقيةُ من همْدان وربيعة، وخصوصاً عبد القيس من هذه، الذين طوّحت بأُصولهم كوارثُ الأيام الماضية إلى الشام، ولم يبقَ منهم في الكوفة وفي البصرة إلا بقيةٌ قليلة[1]، مثلما تتركه أيُّ حركة سُكّانيّةٍ كبرى خلفها.

(٤)

لم يطُلْ انتظارُ الإمام لِما عبّرنا عنه بـ «**أصداء عمله**»، ابتداءً من خروجه من «**المدينة**»، ذلك الخروج الحافل بالمعاني، وانتهاءً بما سردناه من أعماله في مكة، ـ حتى بدأ في أنحاء العراق ما يدلُّ على أنّه بدأَ يستجيبُ الاستجابةَ الصحيحة والمُتوقّعة للأحداث الآخذ بعضها برقاب بعض. والظاهر أنّ الكوفة كانت السبّاقة في هذا.

ففي وقتٍ من أواسط شهر شعبان سنة ٦٠هـ تخميناً، أي بعد خروج الإمام من «**المدينة**» بما لا يزيدُ عن الأسابيع الثلاثة، التقى في منزل أحد قادة الشيعة فيها، الصحابي سليمان بن صُرَد الخُزاعي، جَمْعٌ من كبار الشيعة فتذاكروا موت معاوية، وامتناع الإمام عن بيعة يزيد، وخروجه إلى مكة. وكان من كلام

(١) انظر الهامش رقم / ٧ في القسم الثالث من الفصل الأول.

سليمان فيهم وجوابهم له:

«.... فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومُجاهدو عدوّه فاكتبوا له. وإن خفتم الوهلَ [الضَّعف، الفزع] والفشلَ فلا تغرّوا الرجلَ من نفسه. قالوا: لا! بل نُقاتلُ عدوّه ونقتلُ أنفُسنا دونه. قال: فاكتبوا له».

فكتبوا إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

لحُسين بن علي من سليمان بن صُرَد والمُسيّب بن نَجَبَة ورفاعة بن شدّاد وحبيب بن مُظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة».

«سلامٌ عليك. فإنّا نحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد. فالحمدُ لله الذي قصم عدوّكَ الجبّار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمّة، فابتزّ أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها. ثم قتل خيارَها، واستبقى شرارَها. وجعل مالَ الله دُولةً بين جبابرتها وأغنيائها. فبُعداً له كما بعُدت ثمود!»

«إنه ليس علينا إمام. فاقبِلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ. والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمعُ معه في جُمعة، ولا نخرجُ معه إلى عيد. ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلتَ إلينا أخرجناه حتى نُلحقهُ بالشام إن شاء الله. والسلام ورحمة الله عليك»[1].

ثم سرّحوا بالرسالة مع رسولين، فخرجا حتى قدما على الإمام في مكة في العاشر من شهر رمضان[2].

والذي يؤخذُ من ذلك جملةُ أُمور:

---

(١) مقتل أبي مِخنف / ٣٥٢.

(٢) نفسه. ومن هنا استفدنا تخميننا تاريخ الاجتماع الأول للشيعة في الكوفة.

الأوّل: أنّ أهل الكوفة هم الذين بادروا إلى الاتصال بالإمام من عند أنفُسهم. أي من دون أي إشارةٍ أو إيعازٍ أو تحريضٍ منه.

الثاني: أنّ اجتماعهم وما نتجَ عنه قد حصلَ بمُجرّد سماعهم بامتناع الإمام عن البيعة وخروجه من «**المدينة**». يدلُّ على ذلك المدّةُ الزمنيّةُ القصيرةُ الفاصلةُ بين خروج الإمام ووصول رسائلهم إليه، التي لم تزد على الاثنين وأربعين يوماً (خرج الإمام بتاريخ ٢٨ رجب. ووصلت الرسائل إليه في ١٠ رمضان).

الثالث:أنهم كانوا قبل لقائهم وكتْب الرسالة قد اتخذوا بعض الاجراءات التي تحمل معنى العصيان المدني، كما نقول اليوم. أو على الأقلّ بداية العصيان. وذلك بأن باتوا يمتنعون عن شُهود المراسم الدينيّة الرسميّة، التي يرأسُها عادةٌ موظفٌ كبير أوالوالي. والظاهر أنّ هذا الموقف الاعتراضي سابقٌ على ما نخوضُ فيه من أحداث منذ وفاة معاوية. بدليل قولهم: «**ولا نخرجُ معه إلى عيد**». ذلك أنّ أقربَ عيدٍ إلى تاريخ الرسالة هو عيد الأضحى سنة ٥٩ هـ، الذي يفصله عن التاريخ المُخمّن للرسالة زهاء الثمانية أشهر. فهذا يدلُّ دلالةً أكيدةً على أنّ استنكافهم عن المُناسبات الرسميّة يرقى إلى ماقبل الأشهر الثمان على الأقلّ. أي إلى ما قبل وفاة معاوية، وانفجار الأزمة بسبب استخلاف ابنه يزيد.

مهما يكُن، فإنّ رسالةَ أصحاب سليمان كانت الرسالةَ الأُولى إلى الإمام. ثم تتابعت الرُّسُل والرسائل.

بعد يومين انطلق باتجاه مكة رسولان آخَران يحملان «**نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة**». ثم بعد يومين آخريَن رسولانً غيرهما يحملان الرسالةَ الثالثة، جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أمّا بعد.

فحيهلا، فإنّ الناس ينتظرونك. ولا رأيَ لهم في غيرك. فالعجلَ العجل. والسلام عليك».

وهذه آخرُ الرسائل وُصولاً إلى الإمام.

وانفرد برسالةٍ لا نعرفُ تاريخها شبثُ بن رِبعي، وحجّارُ بن أبجر، ويزيدُ بن الحارث بن يزيد بن رُويم، وعَزْرة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج الزُبيدي، ومحمد بن عُمير التميمي برسالةٍ مُستقلّة كتبوا فيها:

«أمّا بعد. فقد اخضرّ الجَناب، وأينعت الثّمار، وطَمّت الجمام. فإذا شئتَ فاقدم على جُند لك مُجنّدة. والسلام عليك»[1].

فلنلاحظ منذ الآن أنّ هذه الرسالة، من بين كلّ الرسائل الأُخرى، الوحيدة التي حملتْ نفَساً عسكريّاً واستعداداً قتاليّاً. خلافاً لكل الرسائل الأُخرى الطافحة، حيث ذُكر نصُّها، بروح أخلاقيّة سياسيّة. المفارقة هنا أن أصحابها، الذين زايدوا في رسالتهم على غيرهم، بالتلويح بالاستعداد للقتال نصرةً للإمام، كانوا من أوائل من نكصوا على أعقابهم وخضعوا لإغراء وترهيب عُبيد الله بن زياد، ثم أنكروا أقوالهم بعد أن ذكّرهم الإمامُ بها بخطابه في كربلا قُبيل انفجار القتال. وما ذاك إلا لأنّ هؤلاء هم من رؤساء القبائل في الكوفة، الذين مرسوا باستثمار وضعهم الاجتماعي بما يعودُ عليهم وحدهم بالنفع. فكانوا دائماً يوجّهون أشرعتهم مع الريح حيث تميل. ولذلك فإنهم حين رأوا اندفاعَ أهل الكوفة لإعلان النُصرة الإمام سارعوا إلى الدخول فيما دخلَ فيه الناس. فسطروا تلك الرسالة الخاصة بهم وحدهم، والخاصّة أيضاً في أُطروحتها.

(١) مقتل أبي مِخنف / ٤٠٤ـ٤٠٥.

ثم أنهم حينما دخل الترغيبُ والترهيبُ السُلطوي في البازار السياسي انقلبوا إلى الجهة المُعاكسة. والمُقارنة بين هؤلاء وأُطروحتهم، وبين الرسالة الأُولى وأصحابها، حافلةٌ بالمعاني والـدّلالات. ولكنّ محلّها في دراسة الحَدَث الكربلائي وعناصره. الذي نسألُ المولى سبحانه أن يُتمَّ علينا توفيقه بدراسته دراسةً وافية إن شاء.

مهما يكُن، فهذه أربعُ إرساليّات، تضمّنتْ عشرات الرسائل، التي وقّعها مئاتُ الرجال. ممّن ذُكروا بأسمائهم، وممّن أُغفلَ ذكرهُم تحت عنوان «**وشيعته من المؤمنين والمسلمين**»، كما في الرسالتين الأُولى والثالثة. فكأنّ الكوفة، أو كلُّ مَن يرى نفسَه أهلاً منها، قد انشغلوا بتحرير الرسائل وتنظيم وُصولِها إلى الإمام المُقيم في مكة، مُنتظراً ما يكون من الناس. وكأنّها قد عادت إلى سابق عزّها، يوم كانت مدينةً مُبادرةً عنيدةً لا تنامُ على ضيم. لولا علمنا بأن هذه الصّحوة غمامةُ صيف، سُرعان ما ستنجلي عن قابليّة الخضوع والاختراق، الكامنة في أعماق التركيبة البشريّة الهشّة للمدينة واختلالاتها العميقة.

والقارئُ الفطِنُ الـذي يتمعّنُ في قـراءة تلك النصوص على الرسائل ومضامينها، لَيخرجُ بنتيجةٍ خلاصتُها أن عدد الرسائل التي وصلت إلى الإمام لم يتجاوز الست وخمسين رسالة. وقّعها عددٌ غير معروف بالتحديد، ولكنه بالتأكيد لا يصِلُ إلى المئات. نقولُ هذا تحذيراً للقارئ من أن يتأثّرَ بما في بعض الأُكتوبات الانفعاليّة المُتأخّرة، التي توردُ أرقاماً لعديد الرسائل يصِلُ بها إلى الأُلوف الكثيرة. مع أنّ أخبارَ الباب منشورةٌ معروفة. فكأنّ هؤلاء يقرأون تاريخاً آخرَ غير مسطور. يفترضونه افتراضاً، ويفرضونه على القارئ فرضاً. هذا بالإضافة إلى اعتباراتٍ أُخرى، يستنبطُها المؤرّخ الحاذق ممّا يعرفه أو يتصوّره من عديد سكان الكوفة في ذلك الأوان، مقسوماً على النسبة الحسابيّة

لعدد الرجال النُّخبة فيها، من ذوي الأهليّة لعملٍ سياسي بهذا المستوى.

(٥)

تلاقتْ الرُّسُـلُ عند الإمام. فقرأ الكُتُبَ. وسألهم عن أمر الناس. ثم كتب رسالةً أرادها موجّهةً توجيهاً عامّاً إلى كلِّ مَن كتب إليه دون تخصيص. حملها آخرُ رسولين من بين الرُّسُل، هما هاني بن هاني السَّبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين.

«أمّا بعـد.

«فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكُتُبكم، وكانا آخِرَ مَن قدِمَ عليَّ من رُسُلكم. وقد فهمتُ كلَّ الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالةَ جُلّكم، إنه ليس علينا إمام. فأقبِل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهُدى والحقّ.

«وقد بعثتُ إليكم أخي وابنَ عمّي وثقتي من أهل بيتي. وأمرتُه أن يكتبَ إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم. فإن كتب إليَّ أنّه قد أجمعَ رأيُ ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثلِ ما قدِمَتْ عليَّ به رُسُلكم وقرأتُ في كُتُبكم، أقدمُ عليكم وشيكاً إن شاء الله. فلعَمْري ما الإمامُ إلا العاملُ بالكتاب، والآخذُ بالقسط، والّدائنُ بالحقّ، والحابسُ نفسَه على ذات الله والسلام»[1].

فمن ما تلقّى به الإمامُ الرُّسُلَ، ومن بعض ما سطره في الجواب عنها، نعرفُ

(١) نفسه / ٤٠٥.

أنّه أراد أن يستوثق لنفسه بأكثر ممّا يُعطيه ما نطقتْ به الرسائل على كثرتها. فبعد أن قرأ الرسائل قراءةً دقيقة ولا ريب، من ضمنها الوقوفُ على أصحابها، ومنهم مَن يعرفهُ معرفةً جيّدةً، ـ عقد مجلساً مع الرُّسُل السبعة[1]، فطفق يسألهم عن «**أمر الناس**» إجمالاً، يعني مَن كتبَ منهم ومَن لم يكتب. ثم أنّه فيما كتب في الجواب لم يحسُم أمرَ ما سيكون منه، بل علّق حِراكَه القادم، بما يُناسبُ أُطروحةَ الرسائل، على ما سيكتبه إليه رسوله القادم مسلم بن عقيل، بعد أن يستبينَ هذا الأُمورَ كما هي بالفعل. والقارئ اللبيب يفهمُ من ذلك أنّ الإمام لم يكُن يُلقي بنفسه على غمرات الموت إلقاءً. بل يُعدُّ إعداداً دقيقاً لحركة سياسيّة تملكُ حظّاً مقبولاً من النجاح، بعد أن كان قد مهّدَ لها في مكة التمهيدَ الدقيق الذي وصفناه قبل قليل[2].

(٦)

هذا ما كان من أمر الكوفة بالنسبة للإمام، وما كان من أمر الإمام بالنسبة للكوفة، في تلك الأيّام ذات الخطر. يبقى أن نقولَ ما عندنا فيما يخصُّ البصرة ودورها في هذا المُعتَرَك، مع أنّه أصغرُ بكثير من دور جارتها. ولكنّ البصرة ساهمتْ مُساهمةً نبيلةً في الموكب الذي سينطلقُ مع الإمام من مكة باتجاه العراق، أي في الموضوعُ الأصلي للكتاب. وقد ألمحنا إلى شيءٍ من هذا الدّور في الفصل الأوّل. وسنعودُ إليه إن شاء الله تعالى فيما هو آت.

ينقلُ الطبريُ روايةً مُفصّلةً خلاصتُها أنّ الإمام كتب إلى عددٍ من رؤساء أهل البصرة وأشرافِها[3] كتاباً واحداً من نُسَخٍ مُتعدّدةٍ، دعاهم فيه إلى نُصرته. فكلٌّ

(١) وهم : عبد الله بن سبُع الهمْداني، عبد الله بن وال ، قيس بن مُسهر الصيداوي ، عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي الهمداني ، عُمارة بن عُبيد السّلولي، هاني بن هاني السَّبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي. ولاحظ أن أكثرهم همْدانيّون. ثم لاحظ أيضاً أنّ الرسالةَ الوحيدة التي أغفل حمَلَتُها هي رسالة شبث بن ربعي ورفاقه من رؤساء القبائل. وهذا أمرٌ له دلالته أيضاً.

(٢) انظر القسم الثالث من هذا الفصل.

(٣) هم : الأحنف بن قيس ، مالك بن مِسْمَع ، المُنذر بن الجارود ، قيس بن الهيثم ، مسعود بن عمرو وعمر بن عُبيد الله بن معمر.

مَن قرأ الكتابَ كتمه، إلا أحدُهم، المُنذر بن الجارود، فإنّه أخبرَ واليَ البصرة آنذاك عُبيد الله بن زياد، وكان هذا صهره على ابنته، بأمر الكتاب[1]. والقارئُ المُتمعّنُ في هذا التفصيل من الخبر، ربما يستغربُ ائتمانَ الإمام هذا الرجل، مع ما بينه وبين ابن زياد من صلة سببيّة. ولكنّ التمعُن في هذه المُلاحظة قد يحمل دلالةً معكوسةً. إذ يُمكن أن تنهضَ دليلاً على أنّ الإمامَ كان يقصدُ أن تكونَ حركته مُتّسمةً بمقدارٍ من العلنيّة، لِما لذلك من تأثيرٍ معنويٍّ ينقلُ الصوتَ إلى مُختلف الأنحاء. على النحو الذي رصدناه في الكوفة، وظهرت آثارُه في حركة الرسائل. ومن هنا نُخمّنُ أنّ مَن تلقّوا رسائل الإمام غير ابن الجارود إنما كتموها بمبادرةٍ منهم حِفاظاً على أنفسهم. هذا فضلاً عن أنّ المُنذر كان من كبار رؤساء عبد القيس في البصرة. ذلك البطنُ من ربيعة ذو السّوابق الجليلة في نُصرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وليس من المعقول أن يتجاهله الإمام في هذا الاستحقاق، فلا يكتب إلى كبيره، مثلما كتب إلى غيره.

بيدَ أنّ الخبر يطرح أسئلةً أكثر أهميّةً.

لماذا بادرَ الإمامُ فكتبَ إلى أهل البصرة، في حين انتظر مُبادرةً تأتي من الكوفة، ومتى بالتحديد كان ذلك الكَتْب؟

السؤالان مُترابطان. ذلك أنّه في سياقٍ سياسي سريع كهذا الذي نتتبّعه، يتبدّلُ فيه المشهدُ بين ليلة وضحاها، من المُهمّ جداً للمؤرّخ الذي يسألُ مثل السؤال الذي نطرحه، أن يعرفَ التاريخَ الدقيق لوقوع الحدث. إذ ذاك يُمكنهُ أن يُفسّر سلوك المُشاركين فيه، استناداً إلى ما بين الحدث وسلوك المُشارك فيه فاعلاً أو مُنفعلاً.

من الثابت، استناداً إلى نصّين مُتكاملَين، أن يزيد ضمّ ولاية الكوفة إلى

(١) الطبري: ٥ / ٣٥٧. والخبر باختلافٍ يسير في الفتوح: ٥ / ٦٢ ـ ٦٤ ومقتل الحسين / ١٩٩.

عُبيدالله بن زياد بعد وُصول مسلم إليها بمدّة غير قصيرة[1]. وأنّ ابن الجارود سارعَ إلى إخطاره برسالة الإمام إليه في «**العشيّة التي يُريدُ صبيحتّها أن يسبق إلى الكوفة**»[2]. فمن هنا نعرفُ أنّ رسائل الإمام هـذه مُتأخّرة التاريخ كثيراً عن رسائل أهل الكوفة إليه. أي أنّه إنما بادر إلى مُخاطبة رؤساء البصرة بعد أن اطمأنّ اطمئناناً ما إلى وضع الكوفة، وبعد أن اتخذ القرار بالشخوص إليها، أو بعدما أصبح قريباً من اتخاذ هذا القرارعلى الأقلّ. وأي أيضاً أنه اتخذ هذه المُبادرة قُبيل خروجه من مكة، في سبيل تحريك أوليائه في البصرة بموازاة الحركة المُتوقّعة من إخوانهم في الكوفة.

ثم أنّنا في سياق مُتابعتنا لأخبار البصرة في تلك الأيام، نقِفُ على خبرٍ غنيٍّ بالمعاني والمغازي النّادرة يورده الطبري، ناقلاً عن أبي مِخنف، وهذا ينقله عن أبي المخارق الرّاسبي[3]. يقول:

> «**اجتمع ناسٌ من الشيعة بالبصرة، في منزل امرأة من عبد القيس، يُقالُ لها ماريةُ ابنة سعد، أيّاماً. وكانت تتشيّعُ. وكان منزلُها لهم مألفاً يتحدّثون فيه. وقد بلغ ابنَ زياد إقبالُ الحسين. فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضعَ المناظر ويأخذَ الطُرُق**»[4].

ثم يوردُ قصّةَ خروج أحد بني عبد القيس، واسمه يزيد بن ثُبيط العبدي (في المصدر: نبيط. خطأ) مع ابنيه عبد الله وعُبيد الله، والتحاقهم بالإمام في مكة،

---

(١) كتب يزيد في رسالته لابن زياد : «... أمّا بعد. فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يُخبرونني أنّ ابن عقيل بالكوفة.. الخ.» (الطبري : ٥ / ٣٥٧).

(٢) نفسه.

(٣) هو أحد الرُواة الذين أخذ عنهم أبو مخنف مادة كتابه. وهو بصري من بني راسب. وأخباره تمتدّ على زُهاء ثلاثين سنة (٦٠ ـ ٩٠ هـ / ٦٧٩ ـ ٧٠٨ م). وهي عموماً في أخبار البصرة ومنطقتها وما والاها. انظر اسمه في فهارس أعلام تاريخ الطبري.

(٤) تاريخ أبي مِخنف / ٤٠٥.

ثم خروجهم معه إلى العراق، وأخيراً استشهادهم بين يديه في كربلا. وقد ذكرناهم جميعاً في الفصل الأوّل، بوصفهم ممّن وصلوا مع الإمام إلى كربلا.

ممّا لا ريب فيه أنّ تاريخ الخبر يرجع إلى ما بعد خروج ابن زياد من البصرة إلى الكوفة. بشهادة قوله: «**فكتب [يعني: عُبيد الله] إلى عامله بالبصرة**»، يعني أخاه عثمان، الذي استنابه أثناء غيابه المؤقّت عن محلّ عمله الأساسي. إذن، فيمكننا اعتبار الاجتماع نتيجةً لأعمال الإمام في مكة، وربما أيضاً لرسائله إلى أهل البصرة. ويبدو أن صاحبة الدارالذي عُقد فيه الاجتماع كانت امرأةً ذات حضوراجتماعي. وهذا أمرٌ غير مألوف. خصوصاً وأنّ ذلك الاجتماع لم يكُن الوحيد، بدليل قوله: «**وكان منزلها لهم مألَفاً يتحدّثون فيه**»، أي مكاناً مألوفاً لاجتماعاتهم. ولكننا لا يُمكن أن نُغفلَ أيضاً أن يكونَ اتخاذُ شيعة البصرة دارها دون غيره محلاً للقاءاتهم، إنما هو بقصد الإمعان في التخفّي عن أعيُن السُلطة، التي كانت تُراقبُ كلّ حركةٍ بأعينٍ مفتوحة. باعتبارأنّ اتخاذَ دار امرأةٍ لازوجَ لها (بشهادة نسبة الدار إليها. ولو كان لها ذات زوج لنُسبتْ الدار إليه لا إليها) محلاً لمثل هذه اللقاءات السياسيّة أمرٌ بعيدٌ عن التصوّر.

مهما يكُن، فإنّه على الأثر أمرَ ابنُ زياد بتنظيم مُراقبةٍ دقيقة للطُرُق الخارجة من البصرة. منعاً لأهلها من الالتحاق بالإمام القادم إلى الكوفة.

فهذا كلّه يدلُّنا على ما كان عليه شيعةُ البصرة إبّان تلك الأحداث، بل وقبلَها، من تضييقٍ عليهم، ومُراقبةٍ دقيقةٍ لهم. ويُفسّرُ لنا قلّةَ مَن خرج منهم لنُصرة إمامهم. وكلّهم، خلا واحداً هو الحجّاج بن بدر/ زيد السّعدي التميمي، كانوا من بني عبد القيس.

(٧)

هكذا تشكّلتْ وتكاملتْ عناصرُ الصراع القادم، الذي أصبح الآن أمراً

محتوماً لا مفرّ منه ولا مَعدى عنه. ولا يمكن أن ينتهي إلا بمعركة فاصلة، يكونُ فيها غالبٌ ومغلوب، أيّاً يكُن المقياسُ للغَلَبَة. ولم تكُن مكةُ أو غيرها من البلدان والأقطار الميدانَ الصّالحَ للمعركة المُنتَظَرة، ليس لأنّ مكة بلدٌ حرام كما قد يخطرُ لقارئٍ لأوّل وهلة، بل لأنّ نقطةَ التّماسّ الوحيدة لطرفي الصّراع هي حيث تتلاقى قوّتاهُما، أي على أرض العراق وتحديداً في الكوفة.

كان الإمامُ يرى ذلك بوضوح. وكانت السُلطة ترى ذلك بوضوح. وعليه فإنّ الإمامَ من جانبه رحَبَ بكُتُب أهل الكوفة إليه، وإن علّقَ تلبيةَ الطّلب الجماعي بأن يأتيهم على ماسيكتبه إليه رسولُه مسلم، بعد أن يستبينَ حالَهم عِياناً. بما يتضمّنه هذا التعليق من حثٍّ لهم على أن يقرنوا أقوالَهم بالأفعال. خصوصاً وأنّ بعض ما وصلنا من نصوص تلك الكُتُب قد تضمّن تعهّداً من أصحابها بأن يُخرجوا الوالي النعمان بن بشير الأنصاري من بلدهم ويُلحقوه بالشام[1]. وذلك أمرٌ لو تمّ، لكان إعلاناً عمليّاً من أهل الكوفة بالعصيان والخروج من سُلطة الدولة، ولكان بدايةً جيّدةً لتهيئة الظرف المُناسب لدخول الإمام إليها دُخولَه إلى أمرٍ مُمهّد. ولكنّ الحقيقة التي نعرفُها معرفةً جيّدة، أنّ الكوفة كانت أعجزَ من أن تتخذَ مثل هذا القرار الكبير، لغياب القيادة الجَماعيّة والتمثيل الجَماعيّ فيها، وهشاشة وضعها الاجتماعي بكثرة رؤساء القبائل فيها ومَن يُسمّون أشراف الناس، وأكثرُهم ممّن يُقدّمُ مصالحَه الشّخصيّة على أيّ مصلحةٍ أُخرى مهما تكن كبيرة. الأمر الذي سيستغلّه الوالي القادم عُبيد الله بن زياد أسوأَ استغلال، فيُخضعُ المدينةَ التي كانت تغلي بالثورة قبل قليل لإرادته ورغبات أسياده.

المُهمّ أنّه في النهاية «**كتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام يُخبره ببيعة**

(١) وذلك في الرسالة الأُولى التي كتبها سليمان بن صُرد الخزاعي وأصحابه.

اثنى عشر ألفاً من أهل الكوفة ويأمره [كذا] بالقدوم»[1].

والمفروض أنّه على الأثر اتخذ الإمامُ قراره النهائي بالخروج من مكة والاتجاه إلى الكوفة. طبقاً لِما عاهدَ أهلَها عليه في رسالته الجوابيّة.

بيدَ أنّنا قبل أن نختمَ هذا الفصل، فنخرجُ من مكة، وندخلُ مع الإمام وأهل بيته وأصحابه، وهم يسلكون طريقهم الطويل نحو الشهادة، ـ قبل ذلك نجِدُ أنّ من الضروري الوقوفُ على أمرٍ هام، يتصلُ بعنوان الفصل «**الحسين في مكة**» بسببٍ وثيق. من حيث أنّنا بالتدقيقِ نفهمُ منه، أي من الأمر، أنّ الدولةَ قد حاولتْ مُحاولةً أخيرة ثنيَ الإمام عن الخروج إلى الكوفة. وذلك من حيث المبدأ أمرٌ مفهوم ومُتوقّع. فالدولة حتى الآن في موقع المطلوب، في حين أنّ الإمام في موقع الطالب.الإمامُ يُبادر، والدولة تُدافع عن سُلطانها وسطوتها. ومن شأن المطلوب والمُدافع أن يُرضيه توقّفُ الطلب عنه. ممّا سيُطلقُ يدها فيما بعد باتخاذ المُبادرات المُناسبة في الوقت المُناسب[2].

فلقد ذكرنا فيما سبق أنّ والي مكة الحارث بن خالد المخزومي أرسل ابن عمّه عمر بن عبد الرحمن المخزومي يُحسّن للإمام أن لا يخرج. نقولُ «**أرسل**» لأنّه يصعُبُ علينا أن نتصوّر أنّ هذه المُبادرة قد خرجت من رأس هذا الإنسان العادي جدّاً. وبدليل أن الرسول خرج من عند الإمام ودخل من فوره على الوالي. فما أن رآه هذا حتى خاطبه سائلاً: «**هل رأيتَ حسيناً؟**» فقال له: «**نعم**» قال: فما قال لك، وما قلتَ له؟ فحكى له[3]. فهذا دليلٌ ساطعٌ على أنّ مُبادرة عُمر المخزومي كانت موضعَ تفاهُمٍ مُسبَقٍ مع الوالي، ليقولَ كلاماً مُحدّداً، ثم ليعود ويُبلغه جوابَ الإمام عنه.

---

(١) الطبري : ٥ / ٣٤٨.

(٢) خاطب عبيدُ الله بن زياد مسلمَ بن عقيل قُبيل مقتله فقال: «... وأمّا حسين فإنّه إن لم يُردنا لم نُرده ، وإن أرادنا لم نكُفّ عنه». الطبري : ٥ / ٣٧٧. وهذا تعبير واضح عن الذهنيّة السُلطويّة.

(٣) الطبري : ٥ / ٣٨٢ ومروج الذهب ، الفقرة / ١٨٨٩ والفتوح لابن أعثم : ٥ / ١١٠.

المُحاولة الثانية أكثرَ وُضوحاً وأوفى دلالةً وأبعدَ مرمى. ذلك أنّ عبد الله بن عُمر قصد الإمام مُحاولاً أيضاً ثنيه عن الخروج، مثلما فعل غير مرّة من قبل. ولكنّ هذه المُحاولة تضمّنت عرْضاً غريباً سخيّاً وغير مسبوق، حمله ابنُ عُمر، مؤلّفاً من عنصرين:

الأوّل: أن يدخل في صُلح [كذا! ونظن أنّ هذه الكلمة دخيلةٌ على النص] ما دخلَ فيه الناس، ويصبر كما صبر لمعاوية من قبل. وهذا يعني الكَفَّ عن نقد الدولة الأمويّة، والتصريح بعدم شرعيّة خلافة يزيد، إلى ما هنالك. أي انتهاج سياسة القعود والسكوت.

الثاني: أن يرجعَ إلى «**المدينة**». على أنّه «**إنْ أحببتَ أن لا تُبايع فأنت متروك حتى ترى برأيك**» ثم أكّدَ ابنُ عُمر العرضَ تكراراً خلال مُطالعته الطويلة بقوله: «**إن لم تُحبّ أن تُبايع فلا تُبايع، واقعد في منزلك**»[1].

من الواضح أن العرْضَ قد تضمّن تراجعاً عن المطلب الأساسي للدولة، والذي كان السببَ المُباشر وراء كلّ هذه السلسلة من الأحداث، أعني البيعةَ ليزيد بالخلافة. والاكتفاء بالتزام الإمام سياسة السكوت. وفي المُقابل تعهّدٌ شفويٌّ بأنه إن رجع إلى «**المدينة**» تُتركُ له حريّة القرار في هذا الشأن دون أي ضغط أو إكراه.

ثم أنّ من الواضح أيضاً أنّ عرْضاً على هذا المُستوى من التفصيل والتدرُّج في الالتزامات، بما تضمّنه من تعهُّد كبير، لا قِبل لابن عمر بأن يقومَ به، وعلى كلّ حال ليس هو من شأنه وقُدرته، لا يمكن أن يكون تعهُّداً شخصيّاً. بل هو بالتأكيد نتيجة تنسيقٍ وائتمارٍ مع جهة أو شخص ما له الأمر، أو على الأقلّ مع مَن يُمثّله، بحيث يكون في وُسعه أن يُقدّمَ مثلَ هذا التعهّد ويضمنه، لكي

(١) الفتوح: ٥ / ٤١ـ٤٢.

يقبله الطرفُ الآخَر ويبني عليه. وأنّ دورَ ابن عُمر في هذا الطّرح كان دورَ مَن يقوم بما يُسمّى المفاوضة التمهيديّة، التي ترمي إلى سَبْرِ المدى الذي يُمكن للطرف الآخَر أن يصلَ إليه. فإن نجحت وصادف الطرحُ قبولاً مبدئيّاً، تدخلُ الدولة إذ ذاك مُباشَرةً على أمرٍ مُمهّدٍ ومبادئ مقبولة. ومن ثمّ يُتابَعُ البحث في الجانب التنفيذي.

وطبعاً رفض الإمام الطرحَ جملةً وتفصيلاً «**هيهات يا ابن عُمر! إنّ القومَ لا يتركوني إن أصابوني، وإن لم يُصيبوني فلا يزالون حتى أُبايع وأنا كارهٌ أو يقتلوني**».

في نهاية اللقاء، الذي شهده وشارك فيه عبد الله بن عباس بخطابٍ مُختلف كلّ الاختلاف عمّا أتى به ابن عُمر، ـ حسمَ الإمامُ الجدالَ بكلامٍ حازمٍ، بيّن فيه خطّته ومنازعها. نُثبتُ نصّه لِما فيه من عظمةٍ وجمال:

«.... **يا عبد الله [بن عُمر]! خُطّ الموتُ على وِلد آدم مخطّ القلادة على جِيد الفتاة. ما أولهني إلى لقاء أسلافي، اشتياقَ يعقوب إلى يوسف. وخُيّرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه. كأنّي بأوصالي تُقطّعُها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلا. فيملأن منّي أكراشاً جَوْفا وأجوفةً سغبا. لا محيصَ عن يوم خُطّ بالقلم. رضى الله رضانا أهلَ البيت. نصبرُ على بلائِه، ليُوفّينا أُجورَ الصابرين. لن تشُذَ عن رسول الله لُحمتُه. هي مجموعةٌ لنا في حظيرة القُدس. تقرُّ به عيونهم، ويُنجزُ لهم وعدَه. فمن كان باذلاً مُهجته، ومُوطّناً على لقاء الله نفسَه، فليرحلْ معي. فأنا راحلٌ مُصبِحاً إن شاء الله**».

الأيام الأخيرة في مكة

(١)

صباحَ اليوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستين هـ/٣ تشرين الثاني ٦٧٨م خرج الإمامُ من مكة مُتوجّهاً إلى الكوفة. وهذا اليوم هو يوم التّروية، الذي يُحرِمُ فيه الناسُ لمناسك الحجّ. وكان الإمامُ مُحرماً بعُمرةٍ مُفرَدَة. وقيل أنّه اعتمر عُمرة التمتّع ثم عَدَلَ منها إلى العُمرة المُفرَدَة. وعلى كلّ حال، فإنّ خروجه في هذا التوقيت، وإن كان قد أعلنه في الليلة السابقة، قد حرّك المزيدَ من الأسئلة على أصل خروجه، مع أنّ الناس كانت مشغولةً بأمر الحجّ ومناسكه، التي تجعلُ اتصالَ الناسِ بعضهم ببعض في غاية الصعوبة. ولكنّ محاسنَ الصُّدف ساقتْ الشاعرَ الفرزدق ليلتقي بالإمام وهو خارج، وليطرحَ عليه السؤالَ ويحصل على الجواب عن علّة خروجه في هذا التوقيت غير المُتوقّع، ثم ليرويه لنا في هذه الرواية المُفصّلة. قال:

«حججتُ بأُمّي. فأنا أسوقُ بعيرَها حين دخلتُ الحَرَمَ في أيام الحجّ، وذلك سنة ستين، إذ لقيتُ الحسينَ بن علي خارجاً من مكة معه أسيافه وتِراسه. فقلتُ: لمَن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي. فأتيتُهُ فقلتُ: بأبي أنت وأُمّي يا ابن رسول الله، ما أعجلكَ عن الحجّ؟ فقال: لو لم أعجل لأُخذت»[1].

(١) الطبري. ٥ / ٣٨٦.

الروايةُ مُفصّلةٌ تفصيلاً دقيقاً، يُبعدُها عن أن تكون محلَّ اتهام بأنّها موضوعة. لكنّ المُريبَ فيها هو توقيتُها. فكيف يكونُ الفرزدق، وهوَ الذي أتى مكةً حاجّاً بأُمّه، داخلاً الحَرَمَ يومَ التروية؟! من العسير جداً أن نقول أنّ رجلاً كالفرزدق لم يُلاحظ هذا الخللَ في روايته، لو كان الخللُ موجوداً بالفعل. ولكن، من الجهة الأُخرى، فإنّ هذا الخلل الوحيد في الرواية مَبنيٌّ على أن خُروجَ الإمام كان يوم التروية. أي فيما يخصُّ التوقيتَ فقط. إذن، فهناك تهافتٌ بين رواية توقيت خروج الإمام، ورواية توقيت لقائه بالفرزدق. والحقيقة أنّنا بعد التأمّل لم نجّد صيغةً صالحةً للجمع بين الروايتين. ولعلّها تكون خبيئةً في بعض ما لم يصِلُنا خبرُهُ من أحداث تلك الأيام. وعلى كل حال، فإنّ هذا التفاوت المحصور لا يمنعُ من الأخذ بما عداه من عناصر الرواية. فمن المؤكّد أنّ الإمام خرج من مكة، وأنّ الفرزدق دخلها، وأنّ الاثنان التقيا، والفرزدقُ سأل، والإمامُ أجاب.

وعليه، فلنقفْ عند جواب الإمام، لما كان محلّ استغراب الفرزدق.

إنّ قول الإمام «**أُخِذتُ**» يعني عمليّاً أمراً غير مُحدّد، فيه معنى الاستيلاء والانتزاع، الذي قد يحدث بأشكالٍ كثيرة: بالاغتيال، بالأسر، بالجَرح جُرحاً مُقعداً. والإمام عبّرَ بما يمكنُ أن ينطبقَ على كل تلك المعاني جميعها. وهذه هي البلاغةُ بعينها. ومن هنا يمكنُ أن نستنتجَ أنه كان يعلمُ إجمالاً أنّ هناك شيءٌ ما يُخطّط له سرّاً لدى أجهزة الدولة. وعلمه هذا قد يكونُ عن معلومات، أو عن تقدير. ومهما يكُن، فالظاهر أنّ تلك الأجهزة كانت تعملُ وتُخطّط لعمل ما، مُستفيدةً من الفوضى المُنظّمة التي تنشأ من حركة العدد الكبير من الناس في مناسك حجّهم جميعاً، بأوقات وأمكنة معلومة. حيث من العسير جِدّاً توفير الحماية للإمام. وبذلك تحلُّ الدولة مُشكلتَها المنظورة مع الإمام حلاًّ

شبه مجّانيّ. من السهل جدّاً في حال الاغتيال أن تتنصّلَ من تَبِعة الجريمة، بل وقد تُنزلَ أشدَّ العقاب بمَن ولي تنفيذها. وبذلك تُظهّر جريمتَها بحيث تبدو جريمة اغتيالٍ عاديّة، ارتكبها مَن ارتكبها. فقامت هي بوظيفتها الشرعيّة، بأن أوقعت بالجاني العقابَ المُناسب لجريمته. وهكذا يُغلَقُ مشروعُ ثورةٍ أقلقت بال الدولة بأهون سبيل.

هذه الصورة المشهديّة ليست مُجرّد تحليلٍ مقبول اقتضته مُلابسات الأحداث في تعاقبها، وإن يكُن ذلك أمراً مشروعاً في منطق البحث. بل هناك بالإضافة من الأدلّة ما يُفيد أنّه كان هناك تدبير أو خطّة لإنهاء أزمة الدولة بهذه الطريقة شبه المجّانيّة. وأنّ ذلك كان من الأمور المعروفة، على الأقلّ عند المُتابعين عن قُربٍ لِما يجري. ومن ذلك أنّ ابنَ عباس ذكرها ذكراً صريحاً في رسالةٍ خطّها ليزيد، جواباً على رسالة هذا إليه، يشكره ويُمنّيه لأنه امتنع عن البيعة لابن الزُبير. فأجابه ابنُ عباس برسالةٍ مُطوّلة عرضَ فيها لسوابق يزيد السيّئة مع الهاشميين. وكان ممّا قاله:

«وإن أنسَ ماالأشياء، فلستُ بناسٍ اطّرادك للحسين بن علي من حرم الله، ودسّك إليه الرجالَ تغتالُه» [1].

فهذا كلامٌ صريحٌ من رجلٍ مُطّلعٍ رافقَ الأحداث في تتابُعها السريع منذ البداية. خاطبَ به مَن هو أعرفُ منه بموضوع كلامه لأنه فاعلُه. ولو كان عنده أدنى شكٍ بصحّته، لَما خاطب به مَن هو أدرى منه بالأمر.

فمن كلّ هذا نكونُ على يقينٍ من أنّ الإمام إذ خرج ذلك الخروج فإنما لأمرٍ كبيرٍ، إن تمّ سيقضي على كلّ ما عملَ وهيّأ له طوالَ الأشهر التي قضاها في مكة. ولا يبقى منها للأجيال من بعده إلا ذكرُ جريمة فظيعة ارتكبها مجهول.

(١) تاريخ اليعقوبي، ط. بيروت دار صادر، لات: ٢ / ٢٤٩.

(٢)

الظاهرُ أنّ ذلك الذي كان يجري التحضير له على قدمٍ وساق، كان بإشرافٍ مباشرٍ من عمرو بن سعيد الأشدق. الذي عرفنا فيما سبقً، أنّه وُلّي على المدينة بعد عزْل الوليد بن عتبة. وأنّ الحارث بن خالد المخزومي جُعل على مكة. ولكننا نُلاحظ أنّ المخزومي اختفى عن مسرح الأحداث تماماً على أثر توليته. بحيث أن المؤرّخ الطبري لم يذكره في كلّ تاريخه إلا مرّةً فريدة[١] بمناسبة توليته. فكأنّه شهابٌ لمعَ لحظةً في سماء السياسة بالحجاز، ثم انطفأ وضاع في المجهول، مثلما أتى من المجهول. والذكرُ والفعل في مكة من بعدُ للأشدق. دون أن يذكر أحدٌ أنّ المخزومي قد عُزل، وأنّ الأشدق أُعطي الولاية على مكة.

التفسير الوحيد لذلك هو أنّ مُقتضيات تولية المخزومي قد تغيّرتْ بعد قليل من توليته. ذلك أنّه وُلّي للاستفادة من دعم قبيلته القويّة في المعركة السياسيّة المُتوقّعة مع ابن الزُبير. أمّا الآن، وبعد أن صارت الأولويّة لمنع الإمام من الخروج إلى الكوفة، والعمل على القضاء على حركته باغتياله بعمليّةٍ سرّيّةٍ مُدبّرة، فقد حُيّد المخزومي جانباً دون أن يُعزَل. لا لشئ إلا لأنّه لا يؤتمن على سرّيّة وتدبيرعمليّة دقيقةٍ وخطيرةٍ بحجم اغتيال الإمام. وجيء بشيخٍ من كبار شيوخ بني أُميّة ودُهاتها لتنظيم الخطّة وتدبيرها. ولكنّ كلّ تدبيرٍ في سياق هذه الخطّة سقط بخروج الإمام المُفاجئ كما عرفنا.

من هنا رأينا الأشدقَ يخرجُ عن طوره، بعد أن رأى كلّ ما بناه يسقطُ بلحظةٍ واحدة. فلجأ إلى عملٍ غير مسبوقٍ من الدولة تجاه الإمام. رواه المؤرّخُ بالنص التالي:

---

(١) انظر تصديقَ ذلك في فهرست أعلام تاريخه في الجزء العاشر من طبعة دار المعارف بمصر / ٢١٤.

«لمّا خرج الحسين من مكة اعترضه صاحبُ شرطة أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص في جماعةٍ من الجند. فقال: الأميرُ يأمرك بالانصراف. فانصرف وإلا منعتُك».

فامتنع عليه الحسين وتدافع الفريقان، واضطربوا بالسياط. وبلغ ذلك عمرو بن سعيد فخاف أن يتفاقمَ الأمر. فأرسل إلى صاحب الشرطة يأمره بالانصراف[1].

والذي يؤخذُ من الخبر عدّة أُمور:

الأول: ما أشرنا إليه قبل قليل، أنّ هذا الاعتراض ومثله عملٌ غير مسبوق من السُلطة بحقّ الإمام. وقد لاحظنا فيما سبق أن ابنَ الزُبير عندما خرج من «**المدينة**» متجهاً إلى مكة لوحق بفرقة مُطاردة. ولكنهم تجاهلوا تماماً خروجَ الإمام. وسياسةُ السكوت هذه بقيت معمولاً بها طيلة مدّة إقامته في مكة، على الرغم من نشاطه التحريضي غير المكتوم.

الثاني: يبدو أنّ الاعتراض قد حصل عندما كان الإمام في سبيله إلى الخروج من مكة، ولم يكن قد خرج منها بعد. بدليل أن الأشدق كان قريباً من موقع الاعتراض، بحيث يمكن أن يتدخّل عند اللزوم. وهكذا كان.

الثالث: إنّ أجهزة الدولة المحليّة ورجالها كانوا يعرفون حُدودَهم. لذلك فعندما امتنع الإمام، ووصل الأمر إلى حدّ الاضطراب بالسّياط، أي تبادُل السّوط بها، سارعَ ابنُ العاص إلى أمر صاحب الشرطة بالانصراف.

في هذا النطاق من المساعي لثني الإمام عن الخروج، على اختلاف مراميها، نذكرُ مُحاولةً أخيرة بذلها عبد الله بن جعفر، بعد أن سار الإمامُ مسافةً

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ط. مجهولة الأصل، أعادتها بالأوفست مكتبة المُثنّى ببغداد، لات / ٢٤٤. وقد ذكر الطبريُ الخبر باختلاف: ٥ / ٣٨٥. وقد آثرنا نقل الخبر بالصيغة التي أتت عند الدينوري لأنها بدت لنا أكثر حيويّةً وأصدقَ تصويراً. نعم أضاف الطبري على رواية الدينوري أن «الرُسُل» حسب تعبيره كانوا بإمرة يحيى بن سعيد أخو الأشدق.

غير طويلةٍ عن مكة. وذلك إذ كتب له رسالةً مع ولديه عون ومحمد، اللذين سيستشهدان معه في كربلا، فيها:

«أما بعد. فإنّي اسألك بالله لَمّا انصرفتَ حين تنظر في كتابي. فإنّي مُشفقٌ عليك من الوجه الذي توجّهُ إليه أن يكون فيه هلاكُك واستئصال أهل بيتك. إن هلكتَ اليومَ طفيء نورُ الأرض. فإنّك علَمُ المُهتدين، ورجاء المؤمنين. فلا تعجل بالسّير فإنّي في أثر الكتاب. والسلام».

والحركة التالية من ابن جعفر تدلُّ على أنّ هذه الرسالة كانت جزءاً من خطّةٍ قد أحكمها في ذهنه. فقد دخل على الأثر على عمرو بن سعيد الأشدق فعرضَ عليه أن **«اكتب إلى الحسين كتاباً تجعلُ له فيه الأمان، وتُمنّيه فيه بالبرّ والصّلة، وتوثقُ له في كتابك. وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع»**. وطبعاً رحّبَ الأشدقُ بالعَرْض فقال له: **«اكتب ماشئتَ وأتني به حتى أختمه»**. وطبعاً فشل المسعى[1] الذي، وإن دلّ على قلقٍ حقيقي ومُخلصٍ لدى صاحبه، فإنّه ينطوي على قدرٍ كبيرٍ من السّذاجة، على الأقلّ في بنائه على أمان وعهود الداهية الأشدق. كما ينطوي على نقصٍ فاحشٍ في استيعاب المُعطيات السياسيّة، التي بات القارئ على خُبْرٍ وافٍ بها. ابتداءً من التبدّل في الاتجاه السياسي الذي أطاح عمليّاً بولاية الوالي المخزومي ودلالة ذلك، وانتهاءً بالخطر الدّاهم باللجوء إلى اغتيال الإمام، بوصفه حلاً رخيصاً وحاسماً لأزمة الدولة. وكلّ ذلك قد بيّناه قبل قليل.

---

(١) الطبري: ٥ / ٤٣٤ ـ ٣٦. على أننا نُلفت نظر القارئ إلى أن صيغة رسالة الأشدق ولُغتها، كما هي معروضةٌ هنا، تدلُّ على أن كاتبها هو الأشدق نفسه. وهي بالتأكيد بعيدةٌ كلّ البُعد عمّا نتوقّعه من ابن جعفر. وفي ذلك دليلٌ آخر على عدم حزمه في إدارة مسعاه، إذ حمل هذه الرسالة بما فيها من كلام فاحش. هذا إن صحّت الصيغة. وقارن الخبر بما في الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١١٦ ـ ١٧، حيث يقول أن سعيداً بن العاص كتبَ إليه بالكتاب نفسه من «المدينة»، وفيها ذكرُ قتل مسلم. دون أن يربطها بمسعى عبد الله بن جعفر. ومن الثابت أنّ شهادة مسلم قد حصلت وبلغت الإمام بعد ذلك بمدّة طويلة، وفي مرحلةٍ متأخّرة كثيراً على الطريق إلى الكوفة. ولذلك فإننا أخذنا برواية الطبري عن ابن مِخنف، كما نفعلُ غالباً.

الفصل الخامس

في الطريق إلى الكوفة

منذ الآن سيكون عملُنا محصوراً بمرافقة الإمام وموكبه، وهو يُغِذّ السّير باتجاه الكوفة منزلاً منزلاً، إلى أن حطّ رحالَه في أرض كربلا. مع بيان ما حصل أثناء الطريق ومنازله من لقاءاتٍ وأحداث ومساعٍ مُكملةٍ لِما كان قد بدأه في مكة. وكلّ ذلك كان له أثرهُ يومَ كربلا.

١ ـ (التنعيم)

وادٍ بمكة أوّلَ ما يخرجُ السّائرُ من حدود الحَرَم على طريق «**المدينة**». يبعدُ عن مكة مسافة فرسخين، أي اثنى عشر كيلو متراً. منه يُحرمُ أهل مكة بالعُمرة. والوادي في لغة البُلدانيين هو ممرٌّ سطحيٌّ بين تلّتين أو هضبتين. ولذلك فإنه قد يحتوي على مصدرٍ للماء، بئر نزّاز يرشحُ منه الماء المُتجمّع في التربة من الأمطار الشحيحة المُنصبّة على الوادي من الهضاب أو التلال المُحيطة. و«**التنعيم**» من هذه الوديان ذات الآبار «**وبالتنعيم مسجدٌ وسقايا على طريق المدينة**»[١].

في التنعيم حصل أوّلُ صِدامٍ فعلي بين الإمام والدولة، مهما يكُن هيّناً وجانبيّاً. حيث التقى بقافلةٍ قادمةٍ من اليمن تحملُ الوَرْسَ والحُلل[٢]، بعثَ بها

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط. بيروت، دار صادر، لات: ٢ / ٤٩ ـ ٥٠ و البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، ط. مصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٤ م: ١ / ٢٧٧. وفي هذا: «لا خلاف بين الناس أنه على ثلاثة أميال من مكة» وهو أقربُ إلى الصحّة.

(٢) الوَرْس بذور نبات صقراء اللون كان يُستعملُ غالباً صباغاً للأنسجة. والحُلل اليمانيّة معروفة.

العاملُ عليها إلى يزيد، فاستولى عليها.

المغزى الكامن فيما أقدمَ عليه الإمام ذو مضمونٍ سياسي، يمكن وصفه بأنّه تطوّرٌ لمشروعه من مستوى الأفكار والنّوايا إلى مُستوى الإرادة والعمل. إنه لم يستولِ استيلاءً على ما ليس له. بل هو عملٌ مقصودٌ، ينطوي على إعلان نفي ومُصادرة حقّ السُلطة الفعليّة بالتصرّف بالمال العامّ. وهذا بدوره مَبنيٌّ على إنكار واستنكار شرعيّتها من رأس.

وممّا يجدرُ بنا ذكره هنا، أنّ الإمام خيّرَ المُكارين أصحابَ الإبل بين أن يمضوا معه إلى العراق فيوفّيهم أجرَهم كاملاً، أو أن يُفارقوه فيُعطيهم كراءَهم على قدر المسافة التي قطعوها. فمنهم مَن فارقه، ومنهم مَن مضى معه. ومن الغنيّ عن البيان أنّ هذا مَبنيٌّ على مُعطياتٍ مختلفة عن المُعطيات التي جرت على أساسها المُصادرة.

ونقول في هذا، لو انّ الإمام لم يفعل ذلك. لو انّه لم يُصادر تلك المُمتلكات المغصوبة من المال العام، ولم يوفّ المُكارين كراءَهم الذي يستحقونه وسيضيعُ عليهم بعد مُصادرة المنقولات، لكان من حقّنا أن نسألَ وأن نبحثَ عن السبب. أمّا والأمرُ على ما جرى، فهو مُنسجمٌ مع موقع الإمام وتوجُّهاته.

٢ـ (الصِّفاح)

«موضعٌ بين حُنين وأنصاب الحَرَم، على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش. وهناك لقي الفرزدقُ الحسينَ بن علي رضي اللهُ عنه لمّا عزم على قصد العراق. قال:

لقيتُ الحسينَ بأرض الصِّفاح ... عليه اليلامقُ والدُّرّقُ[1].

وعن أبي مِخنَف، عمّن روى عنه، عن شاهدي عيان ممّن التحق بالإمام أثناء

(١) معجم البلدان: ٣ / ٤١٢.

الطريق ثم فارقه، قالا:

«أقبلنا حتى انتهينا إلى الصّفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر. فواقفَ حسيناً فقال له: أعطاك اللهُ سؤلَك وأمّلكَ فيما تُحبّ! فقال له الحسين: بيّن لنا نبأ الناس خلفك! فقال له الفرزدق: من الخبير سألت. قلوبُ الناس معك وسيوفهم مع بني أُميّة. والقضاءُ ينزلُ من السماء. واللهُ يفعلُ ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت. لله الأمر، واللهُ يفعلُ ما يشاء. وكل يوم ربُنا في شأن. إن نزلَ القضاءُ بما نُحبّ فنحمد الله علَى نعمائه، وهو المُستعان على أداء الشكر. وإن حالَ القضاءُ دون الرّجاء، فلم يعتد مَن كان الحقُ نيّتُه والتقوى سريرتُه. ثم حرّك الحسينُ راحلتَه، فقال: السلام عليك. ثم افترقا»[1].

اقتبسنا هذا النص بتمامه لِما فيه من روعةٍ وجمال وعِرفانٍ عميق. صادرةٌ من منبعها الثّرّ: الإمام سليل بيت النبوّة والشاعر الكبير. ثم وعتها بتفاصيلها الدقيقة الذاكرة الأعرابيّة المُدهشة قبل شيوع التسجيل.

٣ ـ (الحاجر من بطن الرُّمّة)

و«**الحاجر**» ليس عَلَماً على مكانٍ بعينه. وإنما هو كلُّ «**ما يُمسكُ الماءَ من**

---

(١) تاريخ أبي مخنف / ٤٣٦ ، عن الطبري : ٥ / ٣٨٦. هذا ولقد كنّا أوردنا فيما فات روايةً أُخرى عن الواقعة نفسها عن الطبري / نفسه عن لبَطَة بن الفرزدق تختلفُ عن هذه في بعض التفصيلات. وما من مُنافاة بين الروايتين بل هما تتكاملان لمَن يُدقّقُ فيهما. وعلى كل حال ، فإنّ الاختلاف بهذه الحدود أمرٌ مألوفٌ في هذا القبيل منَ الروايات. تبعاً لِما وعته ذاكر الرّاوي ولِما ألفت نظره منها أثناءَ سماعه.

ثم أن هناك رواياتٌ كثيرة أُخرى ، تذكر أماكن غير الصفاح للقاء الفرزدق بالإمام. قارن : تاريخ دمشق لابن عساكر ، الترجمة للإمام الحسين عليه السلام / ٢٦١ و أنساب الأشراف :٣ / ٣٧٧ وكشف الغُمّة للإربلي :٢ / ٤٣ ، ومناقب آل أبي طالب : ٤/ ٩٥. وقد أخذنا بهذه لاعتضادها بأنها عن شاهدي عيان ، فضلاً عن ذكرها لتفصيلات تُبعدها عن الوضع. منها بيت الشعر للفرزدق ، ونص الخطاب الذي تبادله الشاعر والإمام ، وكلاهما لا بدّ من الأخذ به عملاً بأصالة صحّة النصّ ما لم يثبت عكسه. وعلى كل حال ، فإن الخبير بلحن كلام الأئمة عليهم السلام لا يشكُّ بصحّة النصّ.

شفة الوادي»[1]. والكلمة اسم فاعل من حَجَرَ أي منع. لأن السّدّ يمنع الماء من الجري إلى حيث يضيع. أمّا «**بطن الرُّمّة**» فهو «**وادٍ معروفٍ بعالية نجد**» أو «**قاعٌ عظيمٌ بنجد تنصبُّ إليه أودية**»[2].

فمن الجمع بين النصّين نعرفُ أنّ الإمامَ نزلَ عند مَجمَع للماء عند شفة الوادي المُسمّى «**بطن الرُّمّة**». وبما أننا نعرفُ أنّ تاريخ مَسيره كان شهر تشرين الثاني/ أُكتوبر، وهو من موسم الأمطار هناك، فيسيلُ في الوديان، ومنه هذا الوادي. ثم يجتمعُ عند فمه بسدٍ ترابيٍّ مثلاً. فمن كلّ هذا يغدوُ نُزولُ الإمام في ذلك الموقع أمراً مفهوماً.

لكنّ ها هنا أمرٌ يحسُنُ بنا الوقوفُ عنده. هو إن المسافة بين «**الصّفاح**»، القريبة من حدود الحرم، وبين «**وادي الرُّمّة**» في عالية «**نجد**» هي أكبر من أن يقطعها موكبُ الإمام في مرحلة واحدة. إذن، فمن شبه المؤكّد أنه نزل في الطريق بينهما منزلاً أو أكثر. لم تُذكَر لأنه لم يحصل فيها ما يستحقُّ الذكر، كما حصل في «**التنعيم**» و«**الصّفاح**» كما عرفنا، ثم كما حصل في «**بطن الرُّمّة**» كما سنعرف.

مهما يكُن، فإنّ الإمـامَ ما أن بلغ «**الحاجر**» حتى بعث قيساً بن مُسهّر الصيداوي إلى أهل الكوفة. وكتب معه إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين.

«سلامٌ عليكم. فإنّ أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد:

«فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يُخبرني فيه بحُسن رأيكم

---

(١) معجم البلدان: ٢ / ٢٠٤.

(٢) نفسه: ١ / ٤٤٩. وما يزالُ «وادي الرُّمّة» يحملُ الاسمَ نفسه حتى اليوم، وحاضرته مدينة «بُريدة» حيث مُلتقى شبكة الطُرُق بين «الرياض» و «مكة» و «المدينة».

واجتماع ملئكم على نصرنا وطلب حقّنا. فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصُّنع، وأن يُثيبكم على ذلك أعظمَ الأجر. وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجّة يوم التروية. فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدّوا. فإنّي قادمٌ إليكم في أيامي هذه إن شاء الله»

«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وكان عُبيد الله بن زياد لمّا بلغه إقبالُ الإمام يُريد الكوفة قد بعث صاحبَ شُرَطه إلى **«القادسيّة»**. فنشرهذا عسكرَه بأمر الوالي منها شرقاً وغرباً بخطٍّ مُستعرض، بحيث يغدو الطريق إلى الكوفة تحت السيطرة التامّة. ولم يكُن قيس قد علم بهذا التدبير الاحترازي. فأقبل مُطمئناً إلى سُلوك وأمان الطريق. فلمّا وصل إلى **«القادسيّة»** أخذه صاحبُ الشُّرَط وبعثه إلى ابن زياد الذي أورده موردَ الهلاك. بعد أن أعلن شفويّاً على ملأ أهل الكوفة مضمون الكتاب الذي يحمله. وبذلك أدّى الرسالة قبل أن ينالَ الشهادة.

٤ ـ (ماءٌ من مياه العرب)

و**«الماء»** مصدرٌ للماء في الصحراء، غالباً ما يكونُ بئراً، تمييزاً له عن الواحة التي تكون مُزدرعاً حول مصدر سطحيٍّ للماء غزيرٍ أو على شئٍ من الغزارة. وكلّ التجمّعات السُكّانيّة في شمال شبه الجزيرة هي في الحقيقة واحات. بما فيها **«مكة»**، **«المدينة»**، **«الطائف»**... الخ.

عند هذا الموقع **«الماء»** التقى الإمامُ للمرّة الثانية عبد الله بن مُطيع العدوي،

---

(١) الطبري : ٥ / ٣٩٥ وتاريخ أبي مِخنف / ٤٣٦. وقارن بـ : الشيخ المفيد : الإرشاد ، ط./ ٢٢٠ ، حيث بعد أن أورد الخبر قال: «ويُقال بل بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطُر».

وقد كُنّا ذكرنا لقاءَه الأول به أثناءَ الطريق من «**المدينة**» إلى «**مكة**» عند بئرٍ كان يحفره. والظاهرُ أنّ هذا اللقاء قد حدث في «**بطن الرُّمّة**» عند بئرٍ ثانٍ كان العدويّ قد حفره. ومن هنا لم يكُن قد اكتسب «**الماءُ**» اسماً بعد، مثلما تكتسب المياهُ أسماءَها مع الوقت ممّن ينزلُ حولها. ولذلك فإنّ الرّاوي ذكره بذلك الاسم العامّ. ويبدو أيضاً من مُلابسات اللقائين أنّ الرجل، الذي كان مدنيّاً وزعيماً قبليّاً واسع النفوذ، كان شديدَ التعلّق بالبداوة أسلوبَ حياةٍ، رأيناها في إيثاره العيشَ في الصحراء، وأيضاً منظومة قِيَم، كما سنراها في خطابه للإمام.

رأى ابنُ مُطيع الإمام فقام إليه وقال: «**بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله. ما أقدمَك؟!**». واحتمله، أي أعانه على النزول عن مطيّته. فأنزله، أي جعل المكانَ منزلاً له، بأن وضع أثقاله ومتاعه عن ظهور الدوابّ. فأجابه الإمام: «**كان من موت معاوية ما قد بلغك. فكتب إليّ أهلُ العراق يدعونني إلى أنفسهم**»، أي ليلي من أُمورهم ما يتولاّه الحاكم المُطاع من شؤون رعيّته.

من المُهمّ أن نقِفَ هنا على ما قاله ابنُ مطيع بعد أن عرف وُجهة الإمام، لأنّ الرجلَ يُمثّل شريحةً من المسلمين آنذاك، لها خصوصيّتها من حيث تقييمها وفهمها للأُمور، ومن حيث حوافزها ومُحرّكاتها السلوكيّة، ومن حيث مفهومها للأُمّة وما هو أولى منها للذّود عنه. قال:

«**أُذكّرُك الله يا ابنَ رسول الله وحُرمةَ الإسلام أن تُنتهك ! أُنشدُك الله في حُرمة رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم! أُنشدك الله في حُرمة العرب! فوالله لئن طلبتَ ما في أيدي بني أُميّة ليقتلنُّك. ولئن قُتلوك لا يهابون بعدك أحدٌ أبدا. والله إنها لحُرمة الإسلام تُنتهك، وحُرمة قريش، وحُرمة العرب،**

فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أُميّة »[1].

هذه المُطالعة البارعة الشّاملة تُنبئ عن مقدرةٍ فذّة على ترتيب المتواليات السياسيّة المُترتّبة على حدثٍ منظور. تهديد بني أُميّة في سلطانهم سيؤدّي إلى قتل الإمام، وهذا سيؤدّي بدوره إلى سقوط كلّ حُرمة: حُرمة الإسلام، حُرمة العرب، حُرمة قريش. فكأنما هذا الرجل يقرأ المستقبل القريب والأبعد قليلاً. وكأنه ينظر إلى يومي «**كربلا**» و«**الحَرّة**» اللذين بالفعل لم يُبقيا على حُرمة. لقد رأينا من قبلُ الكثيرين ممّن قصدوا الإمامَ ناصحين مُحذّرين، على اختلاف مآربهم ومقاصدهم ورؤاهم. ولكن ما من واحدٍ منهم رسمَ بمثل هذا الوضوح والبراعة صورةَ المستقبل الذي سيترتّب على حركته باتجاه «**الكوفة**».

ولكن إلى جانب هذه البراعة وهذا الصدق في التصويرهناك فشلٌ فظيعٌ في الرؤية. غيابٌ لا يُغتفَر في وظيفة المُسلم، وطبعاً الإمام بالدرجة الأُولى، في العمل على إقامة القسط. نقرأه في ختام كلامه حيث قال: «**ولا تعرُض لبني أُميّة**» الذي لا يعني غير القعود والاستسلام للوضع السياسي البالغ الشذوذ. هنا تسقط قيمة كلّ التراتب المنطقي الذي نوّهنا به، لأنه غدا من قبيل مُقدّمات نظريّة صحيحةٍ تصِلُ إلى نتيجةٍ عمليّةٍ مُعاكسة. ومثلُ هذا كثيرٌ في التفكير السياسي عند فقهاء السلاطين، الذين وصلوا دائماً إلى الأمر بالقعود تحت شعار إطاعة وليّ الأمر أو عدم شقّ عصا المسلمين. ومنحَ الشّرعيّة لكلّ ألوان السُلطة الفعليّة مهما يبلغ انحرافها، ومهما تكن الطريقة التي قبضت بها على السُلطة. العدوي يُمثّل أُنموذجاً آخر، يستقي قيمه من المنظومة البدويّة/ الأعرابيّة (الحُرمة...) التي تمنحُ الاهتمامَ والأهميّةَ دائماً إلى العناوين: (الإسلام، العرب، قريش)، ولا تُلقي بالاً إلى المجتمع بما هو مجتمع، وإلى

(١) الطبري: ٥/٣٩٥ - ٩٦.

حقوق الإنسان بما هو إنسان. على أنه يمكن القول أن هذا النمط يكمن أيضاً في خلفيّة ذلك التفكير الفقاهتي ـ السُلطوي. ولم يتبدّل فيه إلا الحُجج والأدلّة الظاهريّة، مثلما تتبدّلُ الأقنعة على الوجوه. وتبقى الوجوه تحتها هي هي».

لذلك فإنّ الإمامَ لم يُعلّق على مُطالعته بشئ، ومضى «**حتى كان بالماء فوق زرود**»[1].

٥ ـ (ماءٌ فوق زَرود)

«**زَرود**» «**رملٌ بين الثعلبيّة والخُزيميّة بطريق الحاجّ من الكوفة**»، «**سُمّيت بذلك لابتلاعها المياه التي تُمطرُها السحائب**»، «**وهي دون الخُزيميّة بميل**»[2]. وهذا التحديد بـ «**دون**» هو بالنسبة للقادم من «**الكوفة**».

ولا صحّة لِما يقوله غير مصدرٍ، أنّ الإمامَ نزل «**زَرود**»، لأسبابٍ واضحة. وأيضاً لا نرى صحةً في القول أنّه نزل الخُزيميّة، وهي من زَرود، للسبب نفسه. فنزول سالكي هذا الدّرب الصحراوي إنما يكونُ على ماءٍ حيث يوجد. ولذلك أخذنا بتحديد الطبري عن أبي مِخنف، حيث قال في العبارة المُقتَبسَة أعلاه: «**بالماء فوق زَرود**»، أي بعد أن يجتازَ القادمُ من «**نجد**» مَفازَةَ «**زَرود**». وفي هذا دليلٌ لا يُدحَضُ على دقّة أبي مِخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت: ١٥٧هـ / ٧٧٣م) فيما يرويه من هذه الوقائع. بحيثُ أنّ الطبري، وهو ذلك المؤرخ الكبير، اعتمد رواياته في هذا. ومن ذلك أنّ ابن مِخنف لم يذكر نزولَ الإمام «**الخُزيميّة**». وسكوتُه هنا حُجّةٌ نافية، لأنّه في مقام بيان منازل الإمام في الطريق[3]. تُضافُ إلى ما بيّنّاه قبل قليل.

---

(١) الطبري: ٥ / ٣٩٦.

(٢) معجم البلدان: ٣ / ١٣٩.

(٣) قارن بما يرويه ابن أعثم الكوفي في: الفُتوح: ٥ / ١٢٢، وعنه الخوارزمي في: مقتل الحسين: ١/ ٢٢٥ حيث يورد خبراً فيه نزول الإمام «زَرود»، وأن السيدة زينب سمعت هاتفاً في الليل يقول بيتين ركيكَين من الشعر. وما من ريبٍ في أنّ هذا من خيالات الواضع.

في ذلك الموضع لقيَ الإمامُ صاحبَه المُستشهدُ بين يديه زُهير بن القين البجلي. ولهذا اللقاء قصّةٌ تستحقُّ أن تُروى بكامل تفاصيلها، لِما فيها من عِبرة وجمال. خصوصاً وأنّ من براعة روايها أبي مِخنف أنه في رواية الواقعة جمع بين روايتي شاهدَي عيان. بحيث زوّدنا برؤيةٍ شاملة لمشهد اللقاء.

قال في الرواية الأُولى:

«قال أبو مِخنف... عن رجلٍ من بني فزارة، قال: لمّا كان زمنُ الحجّاج بن يوسف [٧٥-٩٥ هـ / ٦٩٤ - ٧١٣م] كنّا في دار الحارث بن ربيعة التي في التّمّارين[1]، التي أُقطعت بعدُ زهير بن القين من بني عمرو بن يشكر بن بَجيلة. وكان أهلُ الشام لا يدخلونها، فكُنّا مُختبئين فيها. قال: فقلتُ للفزاري حدّثني عنكم حين أقبلتُم مع الحسين بن علي. قال: كُنّا مع زهير بن القين البَجَلي حين أقبلنا من مكة نُسايرُ الحسين. فلم يكن شيءٌ أبغض إلينا من أن نسايره في منزل. فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين. وإذا نزل الحسين تقدّم زهير. حتى نزلنا يومئذٍ في منزلٍ لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه. فنزل الحسينُ في جانب، ونزلنا في جانب. فبينا نحن جلوسٌ نتغدّى من طعامٍ لنا، إذ أقبل رسولُ الحسين حتى سلّم، ثم دخل فقال: يا زهير بن القين،إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيَه. قال: فطرحَ كلُّ إنسانٍ ما في يده، حتى كأنّنا على رؤوسنا الطير».

(١) وهي من محالّ الكوفة.

الرواية الثانية، وهي تبدأ من حيث انتهت الرواية الأُولى، بحيث تكون الروايتان كروايةٍ واحدةٍ مُتصلة:

«قال أبو مِخنف: فحدّثتني دَلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين، قالت: فقلتُ له، أيبعثُ إليك ابنُ رسول الله ثم لا تأتيه؟! سبحان الله ! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه ! ثم انصرفتْ. قالت: فأتاه زهير بن القين. فما لبث أن جاء مُستبشراً قد أسفر وجهُه. قال: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقُدّم وحُمل إلى الحسين. ثم قال لامرأته: أنتِ طالق، فالحقي بأهلكِ، فإنّي لا أُحبُّ أن يُصيبكِ من سببي إلا كلّ خير. ثم قال لأصحابه: مَن أحبّ منكم أن يتبعني، وإلا فإنّه آخر العهد. إنّي سأُحدّثكم حديثاً. غزونا بلنجر[1] ففتح اللهُ علينا وأصبنا غنائم. فقال لنا سلمانُ الباهلي[2] أفرحتم بما فتح اللهُ عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقُلنا: نعم ! فقال لنا: إذا أدركتم شبابَ آل محمد فكونوا أشدَّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتُم من الغنائم. فأمّا أنا فإنّي أستودعكم الله».

«قال: ثم والله ما زال في أوّل القوم حتى قُتل»[3].

هاتان الروايتان اللتان جمعهما أبو مِخنف ببراعةِ المالكِ لحسٍ تاريخيٍّ

(١) مدينة ببلاد الخَزَر / القفقاز فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي (معجم البلدان : ١ / ٤٨٩).

(٢) نظن ظنّاً يُتاخم اليقين أن الاسم قد ناله تصحيف ، وأنّ سلمانٍ هو الفارسي الصحابي وليس الباهلي. وذلك:

ـ أولاً : لأن الباهلي بعيدٌ جداً عن أن يصدر منه هذا الكلام الذي يدلُّ على رؤيةٍ مُستقبلة وولاء لأهل البيت.

ـ ثانياً : أنّه قُتل في المعركة التي انتهت بنصر المسلمين. والحديث إنما جرى بعد الفتح وإصابة الغنائم.

ـ ثالثاً : أنّ سلمان الفارسي كان ممن شهد فتح بلنجر.

(٣) الطبري : ٥ / ٣٩٦ـ٩٧ .

حيٍّ، حافلتان بصنوف الصُّوَر المَشهديّة وأنواع الخطاب المُتبادَل التي تستعصي على الوضع وعمل الواضع مهما يملكُ من براعة. الأمر الذي يشهدُ شهادةً قويّةً على صحتهما عند الناقد.

لكن ما يُذهلُنا ويُحرّكُ فضولنا هو من أين للباهلي هذا العلم الاستشرافي المُستقبلي بما سيكون من «**شباب آل محمد**» من قتال؟ الذي كان تذكُّرُ زهير بن القين له (أو تذكيره به من قِبَل الإمام أثناءَ ذلك اللقاء القصير المكتوم؟) ذلك التأثير الانقلابي السريع على سلوكه وتوجّهه، بحيث أنّه أعلن انضمامَه المُطلق إليه، مع علمه بما يعنيه وسيؤدّي إليه هذا الانضمام، بحيث رأى فيه «**آخرُ العهد**» مع أصحابه كما حصل بالفعل. بعد أن كان يتجنّب مُجرّدَ اللقاء معه في الطريق بكلّ وسيلة. هل هو تقديرٌ شخصيّ من الباهلي، أو هو عن علمٍ من ذي علم؟

ثم من أين هذه العبارة الغريبة «**شباب آل محمد**»؟ التي طبّقها ابنُ القين عمليّاً على الإمام الحسين عليه السلام، وربما أيضاً، بل الأرجح، على مَن معه من الهاشميين.

تلك أسئلةٌ ذهب الجوابُ عنها مع صاحبها بعد أن أوصلته إلى الشهادة. وما علّقناه في الحاشية السابقة يُفسّرُ بعضَ هذه الإشكاليّات.

٦ ـ (الضويجعة/الثعلبيّة)

الثعلبيّة «**من منازل طريق مكة من الكوفة، بعد الشُقوق وقبل الخُزيميّة. وهي ثلثا الطريق. وأسفل منها ماءٌ يُقال له الضويجعة على ميلٍ منها**»[1].

بنزوله في هذا الموضع، يكون الإمامُ قد قطع ثُلثا المسافة إلى «**الكوفة**». والأقربُ أن يكونَ نزولُه في «**الضويجعة**» حيث الماء، كما جاء في النصّ أعلاه.

(١) معجم البلدان: ٢ / ٧٨.

وإنما ذُكرت «**الثعلبيّة**» لأنها، فيما يبدو، الأعرف بين المواقع المُجاورة. خصوصاً وأنّ تلك أي «**الضويجعة**» قريبةٌ جدّاً من «**الثعلبيّة**»، «**على ميلٍ منها**»، وأنّ المسافة من المنزل السابق «**الماء فوق زَرود**» غير قصيرة، بحيثُ يكون ما لا بُدّ أن يكون ما تزوّد به من الموضع السابق قد نفد أو أشرف على النّفاد. لذلك فإنّ من المُستبعَد جدّاً أن يترك الإمامُ الماء القريب، وينزلَ في «**الثعلبيّة**» اليباب.

وعلى كلّ حال، فإنّه في هذا المنزِل، أيّاً كان، تلقّى الإمامُ خبرَ شهادة مسلم بن عقيل رضوان الله عليه. وقد ساق ابو مِخنف الخبر على طريقته مُسنَداً مُفصّلاً. قال:

«حدثني أبو جَناب الكلبي، عن عديّ بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سُليم والمذري بن المُشمعلّ الأسديين. قالا:

«لمّا قضينا حجّنا لم يكن لنا من همّةٍ إلا اللحاقُ بالحسين في الطريق، لننظرَ ما يكونُ من أمره وشأنه. فأقبلنا ترقلُ بنا ناقتانا مُسرعيَن حتى لحقناه بزرود. فلمّا دنونا منه إذا نحن برجلٍ من أهل الكوفة قد عدلَ عن الطريق حين رأى الحسين»

«قالا: فوقف الحسينُ كأنّه يُريده، ثم تركه ومضى ومضينا نحوه. فقال أحدُنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله. فإن كان عنده خبرُ الكوفة علمناه. فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلامُ عليك، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله. ثم قلنا: فمن الرجل؟ قال: أسديّ. فقلنا: فنحن أسديان، فمَن أنت؟ قال: أنا بكير بن المثعبة. فانتسبنا له. ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءَك. قال: نعم، لم

أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، فرأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق».

«قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين، فسايرناه حتى نزل الثعلبيّةَ مُمسياً. فجئناه حين نزل، فسلّمنا عليه فردّ علينا. فقال له: يرحمُك الله إنّ عندنا خبراً، فإن شئتَ علانيةً، وإن شئتَ سرّاً. قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سرٌّ. فقلنا له: أرأيتَ الراكبَ الذي استقبلك عِشاءَ امس؟ قال: نعم ! وقد أردتُ مسألتَه. فقلنا قد استبرأنا لك خبرَه وكفيناك مسألته. وهو امرؤٌ من أسد منّا ذو رأيٍ وصدقٍ وفضلٍ وعقل. وأنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، وحتى رآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! رحمةُ الله عليهما ! فردّدَ ذلك مراراً. فقلنا نُنشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة. بل نتخوّف أن تكون عليك»

«قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خيرَ في العيش بعد هؤلاء. قالا: فعلمنا أنّه قد عزمَ له رأيُهُ على المسير. قالا، فقلنا: خارَ اللهُ لك ! فقال: يرحمكما الله».

«فقال له بعضُ أصحابه: إنّك والله ما أنت مسلم بن عقيل. ولو قدمتَ الكوفةَ لكان الناسُ إليك أسرع».

«قال الأسديّان: ثم انتظر حتى كان السّحَر قال لفتيانه وغلمانه:

أكثروا من الماء! فاستقوا وأكثروا. ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زبالة»[1].

النصُّ واضحٌ ومُفصّلٌ بنحوٍ مُدهش، بحيث لا يتركُ ثغرةً لسؤال أو تساؤل. نعم، ها هنا إيضاحٌ على تعليق الإمام على مُناشدة الأسديين إياه بأن ينصرفَ ولا يُتابع طريقه إلى «**الكوفة**»، حيث قال: «**لا خير في العيش بعد هؤلاء**»، يعني أخوةَ مسلم. حيث قالوا في جزءٍ من النص تجاوزناه، لأنّه مرويٌّ بطريقٍ مختلف مقطوع، عن زيد بن علي بن الحسين، عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس. وهذا من طبقةٍ متأخرةٍ عن زمن الواقعة، حيث روى أن بني عقيل قالوا بعد أن سمعوا كلام الأسديين: «**لا والله لا نبرحُ حتى ندركَ ثأرنا، أو نذوقَ ما ذاق أخونا**»، فعقّب الإمامُ بقولته تلك. فالحقيقة أنّ تعقيبه هذا من باب المُواساة، وأنّ الأمورَ قد تجاوزت الآن نقطةَ الرّجوع. الأمرُ الذي أباه الإمام مراراً قبل ذلك، وفي مُقابل ضمانات قويّة.

هذا، وإنّ فيما قاله «**بعض أصحابه**»: «**إنك والله ما أنت مسلم.... الخ.**» ما يدلُّ على أن من أولئك الأصحاب مَن كان لا يزال يعتقد أنّ السُلطة لن تجرؤ على مسّ الإمام بسوء، وأنّ أهل «**الكوفة**» لن يتخلّوا عنه بعد أن يروه بينهم، حتى بعد ما قد حصل من انقلاب «**الكوفة**» وما ترتّب عليه.

ثم أنّ في العبارة الأخيرة من النص ما يؤيّدُ ما قد رجّحناه قبل قليل، أنّ نزولَ الإمام كان في «**الضويجعة**» حيث الماء، الذي أمر الإمامُ غلمانه بأن يستقوا منه ويُكثروا. ولاحظ أيضاً أنّ مصنّف (معجم البلدان)، الخبير باللغة الاصطلاحيّة عند البلدانيين، وصف «**الثعلبيّة**» بأنها «**منزل**»، ولم يقُل أنّها (ماء) أو أنّ فيها ماء. ثم أنّه قال بعدُ على «**الضويجعة**»: «**وأسفل منها ماءٌ يُقال له الضويجعة على ميلٍ**

(١) الطبري: ٥ / ٢٩٧ ـ ٩٨، تاريخ أبي مخنف / ٤٣٨ ـ ٤٠، مقاتل الطالبيين / ١١٠.

منها». فهذا يؤيّدُ أيضاً بدليل الإشارة ما قلناه.

ولنُلاحظ أخيراً أنّه مع اقتراب الإمام من «**الكوفة**» بدأت الأحداثُ تتسارع، وهذا أمرٌ مفهوم جدّاً. وسنرى أنّ التسارع سيزداد وحجمُ الأحداث يكبُر كلما تقدّم إلى الأمام.

٧ ـ (زُبالــة)

«منزلٌ معروفٌ بطريق مكة من الكوفة. وهي قريةٌ عامرةٌ بها أسواق، بين واقصة والثعلبيّة»[١].

بوصوله إلى هذه القرية العامرة، كان موكبُ الإمام ومَن معه قد غدا كبيراً جدّاً، بما انضمّ إليه من جُموع الأعراب أثناءَ الطريق. ذلك لِما كان للإمام من مكانة عالية في نفوس الناس فـ «**ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهله**»، فـ «**كان لا يمرُّ بأهل ماء إلا اتّبعوه**». يُضافُ إلى ذلك الظنّ سببٌ آخر طريفٌ، هو اعتقادٌ شائعٌ فيما يُقال بأن السلاحَ لا يفعلُ فيه ولا في أصحابه. حتى قيل أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص خاطب الفرزدق بعد أن علم منه أنّه لقي الإمامَ خارجاً من «**مكة**» فقال له: «**ويلك! فهلاّ اتبعتَه. فوالله ليملُكنّ، ولا يجوزُ فيه السلاح ولا في أصحابه**»[٢].

وحسَبَ أبي مِخنف، فإنّه في «**زُبالة**» علمَ الإمامُ بمقتل عبد الله بن بُقْطُر، الموصوفُ في غير مصدر بأنّه أخوه من الرّضاعة. والخبرُ عنده يبدو مُوثّقاً بنحوٍ جيّد. ولكنّه، وهو الذي تتبّع حركةَ الإمام وفصّل الكلام على أعماله أثناءَ الطريق تفصيلاً، لم يذكر إرساله من قِبَله برسالةٍ إلى مسلم في «**الكوفة**» في موضعه المُفترَض. مع أنّه سيقول أنّه «**كان سرّحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق**

---

(١) معجم البلدان: ٣ / ١٢٩ ـ ٣٠.

(٢) الطبري: ٥ / ٣٩٨ـ ٩٩ و ٣٨٧ بالتوالي. وهي روايةٌ تافهة لا تستحقُّ الوقوف عندها.

وهو لا يدري أنّه أُصيب»[1]. هذا، بالإضافة إلى أنّنا لا نجِدُ تفسيراً مُقنعاً لمنشأ وصف ابن بُقْطُر بأنه أخو الإمام من الرّضاعة. والمُلاحظتان تُلقيان ظلاًّ من الريب على أصل الخبر.

ولكن، وفي المُقابل، فإنّه يوردُ خبر مقتل ابن بُقْطُر بالتفصيل الذي برعَ فيه. والقارئ الحصيف الذي رافقنا فيما سلف، يعرفُ أنّ هذا عندنا من أقوى مؤيّدات صحة روايات أبي مِخنف.

والرواية لا تقولُ كيف وبأي وسيلة بلغَ الإمامَ خبرُ مقتل عبد الله، مثلما قرأنا في خبر مقتل مسلم. ولكن فلنُلاحظ أن ذلك، أعني بلوغَ الخبر، حصل في «**قرية عامرة بها أسواق**»، ومن شأن هذه التجمّعات السُكّانيّة أن تُنتجَ حركةً منها وإليها. كما أنّ من شأن هذه الحركة أن تحملَ معها الأخبار. فمن هنا نُخمّنُ أنّ الخبر تحرّكَ بنفسه مع حركة الناس، وبهذه الوسيلة وصلَ إلى الإمام مع نزوله «**زُبالة**». يؤيّدُ ذلك أن الرّاوي يسوقُ الخبرَ تحت عنوان «**سقط إليه مقتلُ أخيه**»و «**أتى ذلك الخبرُ حسيناً**»، وفيهما أُسند فعلُ السقوط والإتيان إلى الخبر. ومن ذلك نفهمُ أنّه لم يكُن عن راوٍ بعينه، وإنما هو خبرٌ سائرمع حركة الغادين والرّائحين.

مهما يكُن، فإنّ الإمامَ ما أن تلقّى الخبر، حتى جمع اصحابَه ومَن انضافَ إليهم أثناءَ الطريق، وتلا عليهم بياناً مكتوباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«أمّا بعد. فإنّه قد أتانا خبرٌ فظيعٌ: قتلُ مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبد الله بن بُقْطُر. وقد خذلتنا شيعتُنا. فمَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرفْ، ليس عليه منّا ذِمام»[2].

(١) نفسه / ٣٩٨ .
(٢) أيضاً .

من الواضح أنّ الإمامَ قد أراد بهذا البيان المُقتضَب أن يكون جميعُ مَن معه على بيّنةٍ ممّا هم قادمون عليه. وأن يُحرّرهم ممّا عندهم أو عند بعضهم من أوهام. وقد رأينا أنّ فيهم مَن كان يعتقد أنّه قادمٌ على بلدٍ قد استقامت له طاعةُ أهله، أو أنّه وإياهم لا ينالُ منهم السلاح. بل كان من طَليعتهم مَن هو مُطمئنٌ إلى أنّ وُصولَه إلى «**الكوفة**» سيُغيّرُ اتجاهَ الأشياء لمصلحته ومصلحتهم، لِما للإمام من مكانةٍ عاليةٍ في النفوس. هؤلاء جميعاً بيّنَ لهم حقيقةَ الوضع الذي هم مُتجهون إليه. ثم خاطبهم بكلماتٍ حازمةٍ قاطعة: «**قد خذلتنا شيعتُنا**». «**فتفرّقَ الناسُ عنه تفرُّقاً. فأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة**»[1].

لكنّ السؤالَ الذي يطرحُ نفسه علينا بقوّة هو: لماذا اعتمدَ الإمامُ هذه المرّةَ فقط بياناً مكتوباً، جرى إعدادُهُ سلفاً، وهو مَن هو في تمكّنه من ناصية الكلام؟

الجواب الذي بدا لنا على قدرٍ من الوجاهة، بعد طول تأمّل، هو أنّه أراد أن يوحي للسامعين بأن هذا الذي يقولُه ليس كلاماً مُرتجَلاً وابنُ ساعته، بل إنّه نتيجةُ تمعُّنٍ في الوضع القائم الذي ينتظره وينتظرهم. فلا يتردّدُ أحدٌ في اتخاذ القرار الذي يُناسبُ مقاصدَه، بعد أن بانتْ له حقائقُ الأُمور.

مهما يكُنْ، فإنّه على الأثر «**سار حتى مرّ ببطن العقبة، فنزلَ بها**».

٨ ـ (بطنُ العقبة / واقصة)

وما من ذكرٍ لـ «**بطن العقبة**» هذه فيما تحت يدنا من كُتُب البلدان، وهي كثيرةٌ ومتنوّعة. ويذكرُ ابنُ عبد الحق البغدادي تحت عنوان «**بطن**» مواضعَ كثيرة في اسمها بطن مُضافاً إلى آخَر. بعد أن يُعرّف البطن بأنه «**الموضعُ الغامضُ**

(١) أيضاً. مع ملاحظة أنّ قوله: «حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة» يفتقرُ إلى الدقّة. ذلك أنّ من الثابت أنّ ممّن بقي معه إلى «كربلا» واستُشهد بين يديه مَن انضمّ إليه في «مكة». وقد ذكرناهم واحداً واحداً في الفصل الأول. وسيذكرُ أبو مِخنف روايةً يُفهمُ منها أن الأسديَين اللذين ذكرناهما قبل قليل رافقا الإمام حتى «شراف» على الأقل.

من الوادي»[1]. ليس بينها هذا الاسم. ولكنّ ياقوت يذكرُ تحت عنوان «**واقصة**» أنّها «**قبل العقبة لبني شهاب من طيء [...] والمُصعدُ إلى مكة [من الكوفة] ينهضُ في أوّل الحَزْن من العُذيب في أرضٍ يُقالُ لها البيضة حتى يبلغَ مرحلةَ العقبة في أرضٍ يُقالُ لها البسيطة. ثم يقعُ في القاع وهو سهل**»[2]. فلعلها هي نفسهاهذه العقبة، ولعلّ هذا البطن منسوبٌ إليها. إذن، فـ «**بطن العقبة**» و«**واقصة**» موضعان مُتقاربان جدّاً. وهذا يُفسّر لنا اضطرابَ المصادر بين الموضعين، بوصفهما منزلَ الإمام بعد «**زُبالة**».

ونحن إنما تبعنا أبا مِخنف فقدّمنا ذكرَ «**بطن العقبة**» على «**واقصة**»، وبذلك نكون قد خالفنا عدّة مصادر، فلأن هذه أرضٌ حَزون غليظة «**يُقالُ لها واقصة الحَزون**»[3]. ومن المُستبعَد جدّاً أن ينزلَها الإمامُ، ويتركَ الوادي القريب. وفي هذا دليلٌ أيضاً وأيضاً على دقّة أبي مِخنف فيما رواه.

هذا، وإنّ خبرَ نزول الإمام هذا المنزل، أيّاً كان، هو آخر ما يذكره الطبري، نقلاً عن أبي مِخنف، من أخبار حركة الإمام في السنة ٦٠. ثم ينسقُ نزولَه المنزلَ التالي في أخبار سنة ٦١. ونفهمُ من ذلك أنّ رحيلَه عن «**بطن العقبة**» كان في أواخر شهر ذي الحجّة. ويترتّبُ على ذلك أنّه يكون قد أمضى على الطريق حتى الآن زُهاءَ العشرين يوماً.

---

(١) مراصد الاطلاع : ١ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٢) معجم البلدان : ٥ / ٣٥٤ . وقارن هنا قول ياقوت تحت عنوان «عقبة» : «منزلٌ في طريق مكة بعد واقصة وقبل الفاع لمَن يريدُ مكة . وهو ماءٌ لبني عكرمة من بكر بن وائل» (٤ / ١٣٤) .

(٣) معجم البلدان : ٣ / ٣٣١ .

٩ ـ (شَـراف)

«مـاءٌ بنجد [....] بين واقصة والقرعاء، على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب. ومن شراف إلى واقصة ميلان. وهناك بُركةٌ تُعرف باللوزة. وفـي شراف ثلاث [كذا !] آبـارٍ كبار، رشاؤها أقلّ من عشرين قامة، وماؤها عذبٌ كثير. وبها قُلُبٌ كثيرة طيّبةُ الماء يدخلها ماءُ المطر»(١).

ولم يحدث أمرٌ ذو بال في هذا الموضع. سوى أمرُ الإمام فتيانَه بأن يستقوا الماءَ ويُكثروا، مع أنّ المنازلَ منذ الآن تتقارب، ولم يبقَ من ضرورةٍ للإستكثار من الماء. بل إنّ نفسَ نزوله هنا يدعو إلى التساؤل، وهو القريب جدّاً من منزله السابق. فالظاهرُ أنّه، وهو الذي غدا قريباً من «**الكوفة**»، قد بدأ يتحرّكُ حركاتٍ قليلة مدروسة، ليرى ماذا سيكونُ أمامَه، ويبني حسابَه على الأسوأ. ومن ذلك الاستكثار من الماء عن غير ضرورة في الظروف الطبيعيّة.

١٠ ـ (ذو حُسَم)

وما من ذكرٍ لهذا الموضع في كلّ ما في يدنا من كُتُب البلدان والمواقع. وإنما يُذكر فقط، بمقدار ما بحثنا، بمناسبة أنّ عنده حدثَ أوّلُ لقاءٍ للإمام بالعسكر المرصود لقطع الطريق عليه، ومنعه من الوصول إلى «**الكوفة**». ولا غروَ في جهالة «**ذو حُسَم**»، فالظاهرُ ممّا سيأتي أنّه مجرّد تراكم رمليّ من تلك التي تُكوّنُها الرياح في الصحراء. وتكونُ عُرضةً للزوال بالطريقة نفسها. ولعلّ في اسمه ما يُشيرُ إلى ما بدا لنا من طبوغرافيّتها. فـ (الحُسُوم) من أوصاف

(١) الطبري: ٥ / ٤٠٠.

الرياح العاتية[1].

مهما يكُن، فإنّه ما أن سار الرّكبُ عن «**شَراف**» بضع ساعات حتى تحقّقت ظنونُ الإمام فتراءت لهم طليعة (في المصادر«**هوادي**». لأنها تهدي مَن وراءها على الطريق وتكشفُه) الخيل المرصود لهم. فصار من اللازم اتخاذُ الإجراء المُناسب لاحتمال نشوب القتال.

هنا روى شاهدا العيان الأسديّان ما حصل، وهما اللذان ذكرناهما قبلُ حيث أنبآ الإمامَ بقتل مسلم، قالا:

«قال الحسين: أما لنا ملجأٌ نلجأُ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبلُ القومَ من وجهٍ واحد؟»

«فقلنا [الأسديّان]: بلى! هذا ذو حُسم إلى جنبك تميلُ إليه عن يسارك. فإن سبقتَ القومَ إليه فهو كما تُريد»

«قالا: فأخذ إليه ذاتَ اليسار وملنا معه. فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، فتبيّناها وعُدنا. فلمّا رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا. كأنّ أسنّتهم اليعاسيب، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير».

«قال: فاستبقنا إلى ذي حُسَم فسبقناهم إليه. فنزل الحسين، فأمر بأبنيته [خيامه] فضُربت. وجاء القومُ، وهم ألفُ فارس، مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي، حتى وقف هو وخيله مُقابلَ الحسين في حرّ الظهيرة. والحسينُ وأصحابه مُعتمّون مُتقلّدو أسيافهم».

إذن، فعند «**ذوحُسَم**» خرج الموكبُ عن الطريق المرسوم إلى«**الكوفة**»،

(١) وأمّا عادٌ فأُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية . سخّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسوماً (الحاقّة / ٧) .

لاعتبارات أملتها ضروراتٌ قتاليّة. وسيزدادُ منذ الآن بُعداً عن مقصده لاعتباراتٍ أُخرى سنذكرها، إلى أن نزل «**كربلا**».

ولقد كان مجيء الحر والتقاؤه بموكب الإمام في سياق خطّةٍ مرسومةٍ بدقّة، مركزُ عمليّاتها في «**القادسيّة**». رمتْ إلى الحيلولة دون وصوله إلى «**الكوفة**». أوكلها عُبيدُ الله بنُ زياد إلى صاحب شُرَطه الحُصين بن تميم التميمي. تضمّنتْ نشرَ المَسالح بخطٍ طويلٍ مُستعرضٍ مائلٍ من «**القُطقُطانة**» إلى «**خَفّان**»[1] لتكونَ بمثابة حاجزٍ بشريٍ يصعبُ اجتيازُه. ومع ذلك فإنّه أفرز منها ألف فارس بقيادة الحرّ للقاء الإمام. فهذا يدلُّ على أنّ ابن زياد كان يخشى وصولَه إلى «**الكوفة**»، حتى بعد أن سيطرَ هو عليها سيطرةً كاملة.

إلى هنا والأُمورُ تجري في سياق ما يُمكنُ أن نُسمّيه اللُّعبةَ العسكريّة أو فلنقُل اللوجستيّة، كما نقولُ اليوم. ابنُ زياد ينشرُ قوةً عسكريّةً أكبرَ بكثير ممّا يقتضيه توازنُ القوى لصالحه مع الموكب الصغيرالمُتعَب القادم من«**مكة**». والإمام من جانبه يتخذُ إجراءً دفاعيّاً من ضمن الإمكانات المُتاحَة. ومن الجلّي لمن يتأمّل أنّ جزءاً من اللعبة كان من باب الحرب المعنويّة.

لكنّ أمران حصلا أثبتا أنّ هناك أيضاً عناصر، قد تكون مؤثّرةً في مجرى الأحداث المُتوقّعَة، تأتي من خارج كلّ الحسابات. أحدهما أتى من جانب الإمام، والثاني من الحرّ.

فقد وقفَ الحرُّ بعسكره في قبالة خيام الإمام ومَن معه، دون أن يأتي بأيّ مُبادرة. ذلك أنّه كان مأموراً بالحيلولة بين الإمام ودخول «**الكوفة**» فقط. مع أن القوّة التي يقودُها كانت، بالنظر لعديدها، مؤهّلةً لقتالٍ مضمون النتائج ضد

---

(١) القُطقُطانة موضع قبل الكوفة لمَن هو قادمٌ من نجد ، إلى الغرب منها . وخَفان قريةٌ قبالَها من الشرق . والمسافة بينهما زُهاء الثلاث كيلو مترات . انظر المادتين في معجم البلدان : ٤ / ٣٧٤ و ٢ / ٣٧٩ . فهذا يدلُّ على كثافة العسكر المُولج بالمُهمّة . يُضاف إليهم ألف فارس بقيادة الحُرّ .

الرجال السبعة وخمسين الذين كانوا مع الإمام. فمن هذا يمكن أن نفهمَ منه أنّ قرارَ حسمَ الأُمورِ عسكريّاً لم يكن قد اتُخذ بعدُ من ابن زياد. ربما بانتظار ماقد يجدّ. ومن ذلك أن تلك القوّة الكبيرة لم تكُن مصحوبةً بالحدّ الأدنى من التجهيزات اللوجستيّة اللازمة لقوّةٍ مُقاتلة. وأقلّها التزوّد بكميّةٍ كافية من الماء الضروري جدّاً لهم ولخيولهم، بعد أن قطعوا مسافةً طويلةً تحت أشعة الشمس المُحرقة.

أمرَ الإمامُ فتيانه بسقاية كل العسكر، وبريّ ظمأ خيولهم بالمقدار الضروري «**اسقوا القومَ وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيلَ ترشيفاً**». وها هنا روايةٌ جميلة عن شاهد عيان، عاين تلك الواقعة وتأثّر بها. وها هو يروي لنا ما عاينه بعباراتٍ تنضحُ بالمودّة والعِرفان:

«**قال هشام [بن الكلبي]: حدّثني لقيط عن علي بن الطعّان المُحاربي:**»

«**كنتُ مع الحرّ بن يزيد، فجئتُ في آخر مَن جاء من أصحابه. فلمّا رأى الحسينُ ما بي وما بفرسي من العطش قال: أنِخْ الرّاوية [وعاءٌ كبيرُ من جلد البعير]. ثم قال: يا ابن أخ، أنِخْ الجمَل! فأنختُه. فقال: إشرب! فجعلتُ كلما شربتُ سال الماءُ من السِّقاء. فقال الحسين: اخنُثْ السِّقاء ! أي اعطُفهُ. قال: فجعلتُ لا أدري كيف أفعلُ. فقام الحسينُ فخنثه. فشربتُ وسقيتُ فرسي**»[1].

هذا النصُّ المُذهل، بما فيه من خطابٍ ودود من الإمام: «**يابن أخ**»، وبما فيه من عطفٍ ورعاية (سقايتهُ للمُحاربي بنفسه)، هو آخرُ شيءٍ يمكنُ أن نتصوّرَ

(١) الطبري: ٥ / ٤٠١.

حدوثه بين اثنين في مثل ما كان عليه الفريقان. وإنّا وإن كنّا لا نعرفُ تأثيرَ البادرة العملي الفعلي في العسكر. لكنّ مُجرّد روايته من أحدهم على النحو الذي قرأناه، لدليلٌ ساطعٌ على تأثُّر الرجل بما لقي من مودّة وعطف.

فهذا هو الأمرُ الأوّلُ من الأمرين.

أمّا الثاني فقد رواه ابو مِخنف على النحو التالي:

حضرت الصلاة صلاةَ الظهر. فأمر الحسينُ الحجّاجَ بن مسروق الجُعفي أن يؤذّن فأذّن. ثم خرج الحسين وعليه إزارٌ ورداءٌ مُحتذياً نعلين فوقف وقال، بعد أن حمِد الله:

«أيُها الناس ! إنّها معذرةٌ إلى الله عزّ وجلّ وإليكم. إنّي لم آتكُم حتى أتتني كُتُبُكم، وقدمت عليّ رسُلُكم: أن اقدم علينا، فإنّه ليس لنا إمام. لعلّ الله يجمعُنا بك على الهُدى.

«فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم. فإن تعطوني ما أطمئنُّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدِمُ مصرَكم. وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم».

فسكتوا عنه، وقالوا للمؤذّن: أقمْ الصلاة. فقال الحسين عليه السلام للحرّ: **«أتُريدُ أن تُصلّي بأصحابك؟»** قال: **«لا ! بل تُصلّي أنت ونُصلّي بصلاتك»** فصلّى بهم الحسين.

فلمّا كان وقتُ صلاة العصر أمر الإمامُ أصحابَه بالتهيؤ للرحيل. ثم خرج وأمر المؤذّن فأذّن وأقام وصلّى بالقوم أجمعين. ثم أقبل بوجهه على الجَمع المُأتمّ به، فحمِد الله وأثنى عليه. ثم قال:

«أيها الناس ! إنّكم إن تتّقوا وتعرفوا الحقَّ لأهله يكُنْ أرضى لله.

ونحن أهلُ البيتِ أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المُدّعين ما ليس لهم، والسّائرين فيكم بالجور والعدوان. وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كُتُبكم، وقدمت عليّ به رُسُلكم، انصرفتُ عنكم»[1].

فقال له الحُرّ: «**والله ما ندري ما هذه الكُتُب التي تذكر**». فقال الحسين: «**يا عِقبة بن سمعان، أخرِجْ الخُرجيَن اللذيَن فيهما كُتُبهم إليّ!**» فأخرجَ خُرجيَن مملوئَين صُحُفاً، فنشرها بين أيديهم.

من الواضح أنّ الإمام قد عمل من جانبه، منذ اللحظات الأُولى للقاء بعسكر الحُرّ، على خطّةٍ مُحكَمة، رمَتْ إلى كَسْر حالة العداء الظّاهري مع هؤلاء الذين قلوبهم معه، ولكنهم خاضعون لظرفٍ سياسيٍّ واجتماعيٍّ قاهرٍ جعل سيوفَهم عليه. ومن ثمّ العملُ على تبصرتهم على حقيقة الأُمور على المستوى السياسي، والخيارُ الذي يُقدّمه الإمام.

بدأتْ (أي الخطة) بتلك الخطوة النّبيلة، حيث الإمامُ سقى العسكرَ العطشان كلَّه فرواه، ورشّف خيولَهم بمقدار الضرورة. مُعرّضاً نفسَهُ وأصحابَهُ لنفاد أو على الأقلّ نقص موؤنتهم من الماء. وذلك أمرٌ خطيرٌ في ظلّ الوضع المُلتبس الذي قد يكونُ عليه وعليهم أن يواجهوه عن قريب.

والحقيقة أن المرءَ ليملؤه العجب إذ يتأمّلُ فيما أقدمَ عليه الإمام. عجبٌ من كمّيّة الماء الوفيرة التي كان ينقلُها رَكبُه، بحيث رَوَت ذلك العدد الجمّ من العطشى. وعجبٌ أكبرُ من السّبب الذي حدا به إلى تجشُّم عناء تحضيرها سِبقاً وسلفاً، بانتشالِها من الآبار ومن ثَمّ نقلِها، عن غير ضرورةٍ ظاهرة، بالنظر

(١) نفسه / ٤٠٢.

إلى أنّه أصبح الآن بين منازل مُتقاربة غنيّة بمصادر المياه. فكأنه كان يعرفُ ما سيكون، وكأنّه أعدّ للأمر عُدّته. والله أعلم.

تلك الخطوة قابلَها الحرُّ بمثلها بأن صلّى وعسكرُهُ بصلاة الإمام. وهذا ينطوي على معنىً أدبيّ غير خفيّ. وتنازُلٌ منه عن حقٍّ أدبيٍّ له بحسب التقاليد المعمول بها. ما من ريب في أنّه ترك أثرَه الحميد لدى أولئك الجُند، الذين امتثلوا أمر قائدهم فصلّوا بصلاة الإمام، وهم الذين خرجوا لصدّه. ولكنهم أيضاً لن يتردّدوا في قتاله إن صدر لهم الأمرُ بذلك. وها هم الآن يأتمّون به. وشتّان بين هذا وذاك.

ولقد رأينا كيف تابع الإمامُ خطّتَه، بعد أن أزاحَ العسكرَ قليلاً عن موقفهم العدائي، فعمل على تبصيرهم بحقائق الأُمور، وفتْح أعيُنَهم على حقائق الوضع الذي يضطربون فيه. بدءاً بخطابه الاعتذاري «**إنّها معذرةٌ إلى الله وإليكم**». الذي بيّنَ فيه أنّه لم يأتهم بمُبادرةٍ منه. وأنّه إنما قدِمَ استجابةً لكُتُبهم ورُسُلهم إليه. وبالتالي فإنّهم مسؤولون أخلاقيّاً تجاهَه. ولا يحقُّ لهم أن يصدّوه الآن. بل إنّه هو الذي يُطالبهم الآن بتقديم الضمانات الكافية له كي يُتابعَ طريقه باتجاه بلدهم. ومع ذلك فإنّهم إن كانوا لمَقدَمه كارهين، فإنّه سيرجعُ إلى حيث أتى. وليتحمّلوا هم نتائج افتقارهم إلى اليقين السياسي والرؤية، وما يترتّب عليهما من موجباتٍ نضاليّة.

ومن الواضح عند العارف أن هذا الخطاب جدليٌّ، ينظرُ إلى ظاهر الأُمور، كما حصلت بتسلسلها المنطقي على أرض الواقع.

لذلك فإن الإمام ما أن انصرف من موقفه هذا، حتى جمع أصحابَه وتكلّم فيهم، فقال:

«**إنّه قد نزلَ من الأمر ما قد ترون. إنّ الدنيا قد تغيّرتْ وتنكّرتْ،**

وأدبر معروفُها واستمرّتْ جذّاء. فلم يبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابة الإنـاء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحقِّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه. ليرغبَ امرؤٌ في لقاء الله مُحقّاً. فإنّي لا أرى الموتَ إلا سعادةً [خ.ل. شهادة] ولا الحياةَ مع الظالمين إلا بَرَما».

وإنني لإخالُ أنّ الإمام ما أن استتمّ كلامَه في أُولئك المساكين حتى هرِع إلى جَمْع أصحابه في خباءٍ خاص. وأنّه إنما أراد بكلامه إياهم هذا أن يُزيلَ من أذهانهم أو بعضِهم آثارَ مشهدَ لقائه بالقوم قبل قليل. وهو الذي اضطرّ اضطراراً إلى ذلك الخطاب الاعتذاريّ، الذي قُلنا أنّه لا ينظرُ إلا إلى ظواهر الأُمور، على صحّتها. ولم يقف من حوافزه للقدوم إلا على كُتُب القوم ورُسُلهم. مع أنّها مُجرّدُ وسائل. ضرورةَ أنّ أداء التكليف لا يُعفي صاحبَه من أن يتوسّلَ إليه بالوسيلة الأنجع لتحقيق المطلوب. والإمامُ إذ خرجَ فإنّما يقومُ بما هو من واجبه وحقّه معاً، وسيّان كان ذلك بطلبٍ أم بدونه. ولذلك فقد رأيناه يبدأُ كلامه لأصحابه بقوله: «**إنّه قد نزلَ من الأمر ما قد ترون**». ولولا أنّ «**ترون**» هنا قلبيّة وليست حسّيّة لقال «**سمعتم**».

ولقد فهمَ زُهيرُ بن القين البَجَلي مغزى كلام إمامه، فعقّب عليه بقوله: «**قد سمعنا، هداك الله يا ابنَ رسول الله، مقالتَك. والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكُنّا فيها مُخلّدين، إلا أنّ فراقَها في نصركَ ومُواساتك، لآثرنا الخروجَ معك على الإقامة فيها**»[1].

(١) الطبري: ٥ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

فكأنّه رضوان الله عليه يُريدُ أن يقول أنّنا إنّما نتبعُك أنت بما هو أنت. وليس لأنك دُعيتَ فأجبت.

ثم أنّنا رأينا الإمام في كلامه التالي يرفعُ من سقف خطابه، فينفذُ إلى قلب المُعضلة السياسيّة، التي يتخبّطُ فيها المُخاطَبون دون بصيرة. وذلك لافتقارهم إلى المقاييس التي يمنحُ المسلمُ الحاكمَ ولاءَه على ضوئها، أو يعترضُ على حُكمه ويطلب منه أو يفرضُ عليه الاعتزال. وقلبُها (أعني المقاييس) أهليّتَه هو وإقامتَه الفعليّة للعدل. في مُقابل «**هؤلاء المُدّعين ما ليس لهم، والسّائرين فيكم بالجَور والعدوان**». وبهذا يكونُ في أُطروحته قد تجاوزَ الشكلَ والمظهر الذي سيطر على خطابه السابق للاعتبارات التي ذكرناها. ونفذ إلى حقيقة الأزمة، وما تُمليه عليه وعلى الكافّة من مسؤوليّة نضاليّة. ومع ذلك فإنّه في ختام كلامه كرّر عرضَه السابق بأن يُترَكَ ليعودَ أدراجَه إلى «**مكة**». وما ذلك إلا لأنّه العرْضُ الوحيد المُمكن، في مقابل أمر ابن زياد للحُرّ بأن لا يعودَ إلى «**الكوفة**» إلا ومعه الإمام كهيئة الأسير.

هذا السّياق من العمل في مراحله الثلاث، انقطع فجأةً بقول الحرّ للإمام، بعد أن أطلعه على كُتُب قومه: «**إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك. وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نُفارقك حتى نُقدمَك على عُبيد الله بن زياد**»

هذا جوابٌ ذكيٌّ جدّاً ومن شقّين. أجاب على كلا أُطروحتي الإمام في خطابه الأوّل. أجاب على الكلام الاعتذاري بالقول أنّه ليس من الذين كتبوا إليه. وبالتالي فإنّه غير مُطالَب أخلاقيّاً بالوفاء بما التزم به غيرُه. وأجاب على عَرْض الإمام بأن يعودَ إلى حيثُ أتى، بأنّه كعسكريّ مأمورٌ من قِبَل أعلى سُلطة سياسيّة محلّيّة بأن لا يتركه حتى يُقدمَه على ابن زياد. ولكنه، أي الخطاب، يتجاهلُ المُعطياتِ الأساسيّة التي بيّنها الإمامُ في خطابه الثاني بعد صلاة العصر.

تلا ذلك كلامٌ لم يخلُ من الحدّة. لم يخرج فيه الحرّ عن حُدود الأدب. فبعد أن أعلن الإمامُ رفضَه الاتجاهَ إلى «**الكوفة**» معه، وأمرَ جَمعَه بأن يركبوا ويسيروا. حالَ الحرُّ بينه وبين المَسير. قال له الإمام: «**ثكلتكَ أُمّك! ما تُريد؟**» فقال: «**أما والله لو من العرب غيرَكَ يقولها لي، وهو على مثل الحالة التي أنت عليها، ما تركتُ ذكرَ أُمّه بالثُكل أن أقولَه، كائناً مَن كان. ولكن، والله، مالي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدَرُ عليه**». وهذا كلامٌ يُظهر معدنَ الحرّ الطيّب، الذي سيؤدّي به بعد أيام إلى أن يكونَ رضوان الله عليه في طليعة الشهداء بين يدي الإمام.

في نهاية الخطاب المُتبادَل، الذي وقف فيه الطرفان عند الحدود التي ليس بوسع كلٍّ منهما أن يتجاوزَه. طرح الحرُّ حلاًّ مؤقّتاً، فقال:

«**إنّي لم أؤمَر بقتالك. وإنّما أُمرتُ ألاّ أُفارقكَ حتى أقدمَكَ الكوفة. فإذا أبيتَ فخُذ طريقاً لا تُدخلكَ الكوفة ولا تردّكَ إلى المدينة. تكونُ بيني وبينكَ نَصَفاً، حتى أكتبَ إلى ابن زياد، وتكتبَ أنت إلى يزيد بن معاوية، إن أردتَ أن تكتُبَ إليه، أو إلى عُبيد الله بن زياد إن شئتَ. فلعلّ الله إلى ذلك أن يأتي بأمرٍ يرزقني فيه العافيةَ من أن أُبتلى بشئ من أمرك**»[1].

وهذا، كما قُلنا، حلٌّ مؤقّتٌ، أبعدَ المخرزَ عن العين قليلاً. بانتظار أن يُجري كلٌّ من الطرفين الاتصالات التي تُناسبه بحثاً عن مخرَج ثابت. ولكن لن يفوتَنا هنا أن نُلاحظَ بؤسَ أطروحة الحرّ، بل وإلى حدٍ ما سَذاجَته. حيث اقترحَ أو تصوّرَ أن يكتبَ الإمامُ إلى يزيد أو ابن زياد من موقع ضَعف. وهذا، إن صحَّ، يدلُّ على أنّه، أعني الحُرّ، وإن يكنْ يحملُ تقديراً عالياً جدّاً للإمام. ولكنّه لا

(١) الطبري: ٥ / ٤٠٣.

يزالُ حتى الآن أسيرَ موقعه في تركيبة السُلطة ومُقتضياته. ثم أنّه تحرّرَ منه عندما حقّت الحقيقةُ لديه. فانخلع من قيوده. واتّبعَ هُداه سالكاً سبيل الأحرار، كما وصفه الإمام حين وقف عليه شهيدا.

انطلقَ الرّكبُ مُتياسراً، مُبتعداً عن الطريق المُستقيمة التي تقودُه إلى «**الكوفة**»، عَبرَ «**العُذيب**» فـ «**القادسيّة**». سارَ والحُرّ يُسايرُه بعسكره، إلى أن نزل

١١ ـ (البِيضة)

«**بكسر الباء. ماءٌ بين واقصةَ إلى العُذيب، مُتصلةٌ بالحَزْن لبني يربوع**»[١].

في «**البِيضة**» تابع الإمامُ ما كان قد سارَ فيه خطوات في «**ذي حُسْم**». وقد روى لنا أبو مِخنف خطابَ الإمام في أصحابه وأصحاب الحُرّ، قال:

«**عن عقبة بن أبي العيزار**[٢]، **أنّ الحسين خطبَ أصحابَه واصحابَ الحُرّ بالبِيضة، فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال:**

«**أيها الناس! إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مُستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً لسُنّة رسول الله يعملُ في عباد الله بالاثم والعدوان ـ، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا بقول، كان حقّاً على الله أن يُدخلَه مُدخلَه. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعةَ الشيطان، وتركوا طاعةَ الرحمان. وأظهروا الفساد. وعطّلوا الحدود. واستأثروا بالفئ. وأحلّوا حرامَ الله، وحرّموا حلالَه. وأنا أحقُّ مَن غيَّر. وقد أتتني كُتُبُكم، وقدِمَتْ عليَّ رُسُلُكم ببيعتكم. أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني. فإن**

---

(١) معجم البلدان: ١ / ٥٣٢.

(٢) وهي الرواية الوحيدة التي يرويها أبو مخنف برواية الطبري عن هذا الرجل. ولا ذكرَ له في المصادر. ممّا يمكن أن نفهم منه أنه من أهل "البِيضة". صادفَ أن سمع مقالةَ الإمام فرواها.

تممتُم على بيعتكم تُصيبوا رُشدَكم. فأنا الحسين بن عليّ، وابنَ فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَم. نفسي مع أنفسكم. وأهلي مع أهليكم. فلكم فيَّ أُسوة. وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنُكر. لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم. والمغرور مَن اغترّ بكم. فحظّكم أخطأتم. ونصيبَكم ضيّعتم. ومن نكثَ فإنّما ينكثُ على نفسه. وسيُغني الله عنكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

هوذا تطوّر آخرَ بالخطاب الحُسيني المُتغيّر مع مُقتضياته في هذا الطريق. هو هنا من أربعة مقاطع:

الأوّل: في ما يجب على المسلمين وِجاه السلطان الجائر. ومنه أن يُغيّروا عليه يعني بالامتناع عن الولاء والطاعة له. وأقلّ التغيير بالقول، بأن يُعلنوا حرمانه من الولاء وبنَبذ طاعته. وأعلاه بالفعل بخلعه بالقوّة، إن لم يكفِ القول.

الثاني: وصفُ النظام القائم وسياسته في الناس بما يُفيد أنّه مصداق لمفهوم السلطان الجائر.

الثالث: أنّه هو أحقُّ مَن غيّر، لمكان البيعة التي له في أعناقهم. وقد منحوه إياها بطلبٍ منهم، بعد أن أعلنوا أن ليس عليهم إمام. ثم بما له من رصيدٍ ومكانةٍ عاليةٍ لدى كافة المسلمين، بوصفه سليل بيت النبوّة. وبوصفه الآهل للسّير فيهم بما يسيرُ المرءُ في مصالح نفسه وأهليه. بحيث يكونُ لهم نعمَ الأُسوة.

الرابع: إنذارٌ بعاقبة نقضهم عهدهم الذي عاهدوه عليه، وخلْعهم بيعتهم إياه.

---

(١) الطبري: ٥ / ٤٠٣.

ودعوتهم إلى الاعتبار بسابقتهم مع أبيه وأخيه عليهم السلام، فباؤا بالخسران. وهاهم قد فعلوها قبل قليل مع ابن عمّه مسلم، ممّا يصلحُ سبباً ليأسه منهم، وسيُضيّعُ عليهم فرصتَهم الأخيرة في الخلاص، وهم الذين أصبحوا مكشوفين تماماً للسُلطة، بعد أن بدأوا إجراءاتِ الثورة عليها، ثم نكصوا على أعقابهم.

والظاهرُ أنّ الحرَّ لم يكُن قد يئسَ حتى الآن من استمالة الإمام إلى وُجهة نظره، القاضية بمفاوضة يزيد أو ابن زياد بالكَتْب إلى أحدهما. عسى أن يُنقذَه ذلك من مأزقه ذي الوجهيَن. كان الرجلُ مُوزّعَ النّفس بين مطلبيَن مُتعارضيَن. مطلبِ الحِفاظِ على موقعه، بوصفه قائداً عسكريّاً عاليَ الرُّتبة. ومطلبِ أن لا يُبتلى بشئٍ من أمر الإمام، على حدّ ما قال. فطفقَ يُخوّفه، وهو يُسايره عن قُرب: «**إنّي أُذكّركَ اللهَ في نفسك. فإنّي أشهدُ لئن قاتلتَ لتُقتلنّ، ولئن قوتلتَ لتهلكنّ فيما أرى**». فقال له الإمامُ في الجواب: «**أفالموت تُخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطبُ أن تقتلوني؟!.... الخ.**».

فلما سمع منه الحرُّ ذلك يأس فتنحّى عنه. وكان يسيرُ بأصحابه في ناحية، والحسين عليه السلام في ناحيةٍ أُخرى. حتى انتهوا إلى

١٢ ـ (عُذيب الهجانات)

«**ماءٌ بين القادسيّة والمُغيثة**»[1]. و«**بين**»، هنا، قد تُضلّلُ القارئَ المُدقّق. فـ «**القادسيّة**» قريبة، أربعة أميال عن «**عُذيب الهجانات**» وهي إلى يمين القادم من «**الحجاز**». أمّا «**المُغيثة فهي بعيدة، إثنان وثلاثون ميلاً عنه، وإلى يساره**». أي أنّ الموضعيَن ليسا على الخط الذي يسيرُ فيه الرّكب.

في «**عُذيب الهجانات**» التحق بركب الإمام أربعةٌ من أهل «**الكوفة**»، خرجوا

(١) معجم البلدان: ٤ / ٩٢.

منها مُتسلّلين. بحيث احتاجوا في مسيرهم إليه إلى دليل، على قُرب الموضع من بلدهم، بحيث يمكن القولُ أنه من ضواحيه. وما سببُ حاجتهم إلى ذلك الدليل إلا لأنه خبيرٌ بالمسالك الخلفيّة وما إليها، وربما بمواقع المسالح التي نشرها ابنُ زياد لتمنع وُصولَ الإمام إلى «**الكوفة**»، ووصولَ أهلها إليه. فيوصلهم إلى حيث الإمام، دون أن يمرَّ بهم على تلك المسالح. وقد ذكرنا أسماء أولئك الأربعة في الفصل الأوّل، من ضمن مَن وصلوا مع الإمام إلى «**كربلا**». وهم: مُجمّع بن عبد الله العائذي، وابنه عائذ، وعمرو بن خالد الأسدي الصيداوي، وجنادة بن الحارث. ومعهم فرسٌ لنافع بن هلال الجملي، الذي كان قد خرج من قبل إلى لقاء الإمام، فلقيه وسار معه من «**ذي حُسم**» على الأقلّ. أمّا الدليل فاسمه الطّرمّاح بن عديّ، الذي سنجِدُ له ذكراً بعد قليل. ممّا يدلُّ على أنّه لم ينضمّ إلى الرّكب، بل عاد إلى حيث أتى بعد أن أدّى مُهمّتَه.

هذه الواقعة تنطوي على الدّلالة على أُمرٍ هامٍّ جدّاً، لا نجدُ عليه أدنى إشارة في المصادر. هو أنّه على الرُّغم من التدبيرات الدقيقة والشّاملة التي اتخذها عُبيدُ الله بن زياد، ابتغاء منع التواصل بين الإمام وأهل «**الكوفة**»، فإنّ صاحبه نافع بن هلال وجد سبيلاً إلى إيصال رسالةٍ إلى مَن ينبغي أن تصِلَ إليه، يطلبُ فيها إرسال فرسه المُسمّى بالكامل، استعداداً للقتال بين يدي الإمام. وأن أولئك الأربعة الذين نجحوا في التسلّل من «**الكوفة**» للالتحاق بالإمام كانوا، أو كان دليلُهم على الأقلّ، يعرفون أين هو بالضّبط فقصدوه حيث كان. فهذان دليلان على أنّ أخبار ما يجري إلى جوار «**الكوفة**» كانت تخترقُ الموانعَ التي اصطنعها ابنُ زياد. وذلك، على كلّ حال، أمرٌ مفهوم. ضرورةَ أنّه من شبه المُستحيل على سُلطةٌ مهما ملكتْ أن تأخذَ كلّ الدُّروب على كلّ الناس كلَّ الوقت. بل هم سيجدون بين ذلك سبيلا.

مهما يكُنْ، فإنّ الحرّ ما أن رأى أولئك الأربعة القادمين من «**الكوفة**» ينضمّون إلى جَمْع الإمام حتى اعترضَ على ذلك، فقال: «**إنّ هؤلاء النّفَر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممّن أقبلَ معك. وأنا حابِسُهم [عن الانضمام] أو رادُّهم**». فأجابه الإمام: «**لأمنعنّهم ممّا أمنعُ منه نفسي. إنما هؤلاء أنصاري وأعواني. وقد كنتَ أعطيتني ألاّ تعرُضَ لي بشيءٍ حتى يأتيكَ كتابٌ من ابن زياد**». فقال: «**أجَل، ولكنّ لم يأتوا معك**» قال: «**هم أصحابي. وهم بمنزلة مَن جاء معي. فإن تمّمتَ عليَّ ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتُك**» أي قاتلتُك. فكفّ عنهم الحرّ.

في «**عُذيب الهجانات**» تلقّى الإمامُ نبأَ مقتل رسوله قيس بن مُسهّر الصيداوي. ذلك أنّه ما أن انتهى السّجالُ مع الحرّ، حتى جلس إلى القادمين، فقال: «**أخبروني خبرَ الناس وراءَكم !**» فقال مُجمّعُ العائذي: «**أمّا أشرافُ الناس فقد أُعظمتْ رشوتُهم، ومُلئتْ غرائرُهم. يُستمالُ ودُّهُم، ويُستخلصُ به نصيحتُهم. فهم إلبٌ [تجمعهم عداوتُك] واحدٌ عليك. وأمّا سائرُ الناس بعدُ، فإنّ أفئدتُهم تهوي إليك، وسيوفُهم غداً مشهورةٌ عليك**» قال: «**فهل لكم [علمٌ] برسولي إليكم؟**» قالوا: «**مَن هو؟**» قال: «**قيس بن مُسهّر الصّيداوي**». فقالوا: «**نعم ! أخذه الحُصين بن تميم، فبعث به إلى ابن زياد. فأمره ابنُ زياد بأن يلعنكَ ويلعنَ أباك. فصلّى عليكَ وعلى أبيك. ولعنَ ابنَ زياد وأباه. ودعا إلى نُصرتك، وأخبرهم بقدومك. فأمر به ابنُ زياد فأُلقيَ من طَمار [أعلى] القصر**». فترقرقت عينا الحسين عليه السلام، ولم يملُكْ دمعَه. ثم قال: «**منهم مَن قضى نحبَه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلا. اللهم اجعل لنا ولهم الجنّةَ نُزُلا. واجمعْ بيننا وبينهم في مُستقرّ رحمتك ورغائب مذخور ثوابك**».

في «**عُذيب الهجانات**» أيضاً تلقّى الإمامُ افضلَ عرضٍ للنُصرة من بين ما تلقّاه، وربما أكثرُها ذكاءً وجِدّيّةً.

فقد أتاه الطّرمّاحُ بن عَديّ، الذي عرفناه قبل قليل دليلاً لأولئك الأربعة

المُتسلّلين من «**الكوفة**». والظاهر أنّه بعد أن وصل بهم إلى مقصدهم لقي الإمام، فقال له:

«**والله إنّي لأنظرُ فما أرى معك أحدا. ولو لم يُقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم مُلازميك، لكان كفى بهم. وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي في صعيدٍ واحدٍ جمعاً أكبر منه. فسألتُ عنهم فقيل: اجتمعوا ليُعرَضوا، ثم يُسرّحون إلى الحسين. فأُنشدك الله إن قدرتَ على ألاّ تقدمَ عليهم شبراً إلا فعلت ! فإن أردتَ أن تنزلَ بلداً يمنعك اللهُ به حتى ترى رأيك ويستبينَ لكَ ما أنت صانع، فسِر حتى أُنزلك مَناعَ جبلنا الذي يُدعى أجأ. أمتنعنا والله به من ملوك غسّان وحِميَر، ومن النعمان بن المُنذر، ومن الأسود والأبيض [خ.ل. الأحمر والأبيض]. والله إن دخل علينا ذّلٌّ قط. فأسيرُ معك حتى أُنزلُك القُريّة. ثم نبعثُ إلى الرجال ممّن بأجأ وسلمى من طيء. فوالله لا يأتي عليك عشرةُ أيام حتى تأتيك طيء رجالاً ورُكبانا. ثم أقِمْ فينا ما بدا لك. فإن هاجكَ هَيْجٌ فأنا زعيمٌ لك بعشرين ألف طائيّ يضربون بين يديكَ بأسيافهم. والله لا يُوصَلُ إليك أبداً ومنهم عينٌ تطرُف**»[1].

فقال له الإمام: «**جزاكَ اللهُ وقومَكَ خيرا. إنّه كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدرُ معه على الانصراف. ولا ندري علامَ تنصرفُ بنا الأُمورُ في عاقِبِه**».

(١) الطبري : ٥ / ٤٠٦ . والنصوص السابقة عن الصفحتين قبلها .

علينا أن نقفَ عند عرْض الطّرمّاح، هذا، الوقفةَ التي يستحقّها. لأنّه قد يقودُنا باتجاه مزيدٍ من الفهم لمُحرّكات وحوافز الإمام عند هذا المفصل الدقيق، وعَبْرَه عند حركته إجمالاً. فلقد رأينا كم يبدو، أعني ذلك العرْضَ، ذكيّاً ومُفصّلاً وعمليّاً وربما أيضاً جدّيّاً.

فلماذا لم يقبله الإمام؟

ها هنا قبل أي اعتبارٍ آخَر، اعتبارٌ يتعلّقُ بمدى جِدّيّة الرجل وقُدرته على الوفاء بالالتزامات الكبيرة التي عرضَها. ومن الغنيّ عن البيان أن هذا من الاعتبارات الأساسيّة التي ينبغي أخذُها في قبول أو ردّ أيّ عرْضٍ كبُرَ أم صغُر. فكيف بمثل الأمر الكبير الذي يخوضُه الإمام. ولكنّ هذا اعتبارٌ ليس في وسعنا، بالنظر لضآلة ما نعرفه عنه، أن نقطعَ بشأنه. ولقد سبرنا الفترةَ من تاريخ الطبري، بحثاً عن ذكر الرجل فيه، عسى أن نعرفَ شيئاً عن موقعه الاجتماعي وما قد يكون له من نُفوذ، عبرَ مُشاركته في الأحداث. وبنتيجة البحث تأكّدنا أنّه لم يُذكرْ إلا هاتين المرّتين.

أضِفْ إلى ذلك أنّنا قد رأيناه قبل قليل يعملُ دليلاً، ومن المعلوم أنّ هذه ليست بالمهنة أو المُهمّة التي يعمل أو تُوكلُ إلى مَن في وُسعه أن يُحرّكُ عشرين ألف سيفٍ كما زعم. كما أنّ من المعلوم أنّ طيء قبيلةٌ كبيرةٌ واسعة الانتشار، كما لا تزال. عليها عشرات الرؤساء، كما هو مُقتضى وشأن الصيغة القبَليّة. لكلٍّ من هؤلاء الرؤساء مصالحُه ونفوذُه وشبكةُ علاقاته التي في قلبها السُلطةُ السياسيّة. ومن السُّخف أن نتصوّرَ أنّ هؤلاء جميعاً سيتنازلون بكلّ بساطة عن مصالحهم وامتيازات مواقعهم ومُقتضيات شبكة علاقاتهم، فيدعمون قضيةً عادلةً حتى لو كان على رأسها مَن هو في مكانة الإمام الحسين عليه السلام، ويمنعونَه من سطوة الدولة، ذلك كلّه قياماً بذمّة شخص من القبيلة كالطرمّاح، ليس بذي كبير شأن.

ثم كأنّ الطّرمّاح لم يرَ الموقعَ الدقيق الذي في قلبه الإمام، وهو يتحرّكُ

تحت الأعيُن اليقظة والحراسة المُشدّدة من قِبَل الحرّ وعسكره، الذي يفوقُ فريقَ الإمام بمرّات. بحيث كان مُضطرّاً للخضوع لإرادتهم في حركته. وكأنّه سيتركه يذهبُ حيث يشاء. مع أنّه هو الذي خاطبَه فقال: «... **ولو لم يُقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم مُلازميك، لكان كفى بهم**».

لكل تلك الاعتبارات، فيما نحسَبُ، أجابه ذلك الجواب التخلُّصيّ، فقال: «**إنّه كان بيننا وبين هؤلاء القوم [يعني الحرّ وعسكرَه] كلامٌ لسنا نقدرُ معه على الانصراف**».

في نهاية ذلك المَطاف الحزين، مضى الإمامُ حتى انتهى به المَسير إلى:

١٣ـ (قصربني مُقاتل)

في (معجم البلدان): «**قصر مُقاتل**»، وهو الأصحّ[١] وهو: «**قصرٌ كان [يعني في زمان النصّ] بين عين التّمر والشام**»[٢]. و«**عين التمر**» بلدٌ أعلى «**الكوفة**» أي بعدَها بالنسبة للقادم من «**الحجاز**». إذن، فالقصر شمال غرب «**الكوفة**».

لم يحصل في هذا الموضع، الذي يبدو أنّ الإمامَ لم يُقمْ فيه إلا سوادَ ليلة، شئٌ يُذكَر، سوى لقاءَهُ عُبيدَ الله بن الحرّ الجُعفي.

وابنُ مِخنف يروي قصّة اللقاء عن عمر الشعبي بما خلاصتُه. أنّ الإمام حين انتهى إلى «**قصر بني مُقاتل**» إذا بفسطاطٍ مضروب. فسأل لمَن هو؟. فأُجيب بأنه للجُعفي. فقال: «**أُدعوه لي!**» فلما أتاه الرسول قال: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون. والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهةَ أن يدخلَها الحسينُ وأنا بها. والله لا أُريدُ أن أراه ولا يراني**». ومع ذلك فإنّ الإمامَ قصدَه ودعاه إلى نصرته، فأعاد ابنُ الحر مقالته للرسول. وفي ختام اللقاء حذّره الإمام بأن يكونَ ممّن يُقاتله. فتعهّد له بأن هذا لن يكون[٣].

---

(١) والشاهد على ذلك قولُ شاعرٍ أسدي، أي أنّه من أبناء المنطقة:
كأن لم يكُن بالقصر قصر مُقاتلٍ وزُورةُ ظلٍّ ناعمٌ وصديقُ
(٢) معجم البلدان: ٤ / ٣٦٤. وكذا الشاهدُ أعلاه.
(٣) الطبري: ٥ / ٤٠٧.

ولكن ابن الأعثم يوردُ روايةً أكثرَ تفصيلاً عن اللقاء نفسه[1]. فيها خطابٌ له من الإمام، من المُستبعَد عندنا جدّاً أن تصدُرَ منه مع مَن يدعوه إلى نصرته.

ولقد بنى غيرُ مؤلّفٍ على خطاب الإمام هذا صورةً سيّئةً جدّاً للرجل، منها أنّه خرج إلى معاوية، وحارب معه في «**صفّين. وأنّه نهب أموالاً، وقطع الطريق**»[2]. ممّا لم نجِدْ له ذكراً لدى المنقري في (وقعة صفّين) ولا لدى الطبري عن أبي مِخنف. مع أنّ المصدريَن في الهامش أدناه يُسندان ما نسباه إلى الرجل عن هذين.

نعم، كلُّ شيءٍ يدلُّ على أنّ الرجلَ هو من ذلك القبيل من الناس الذي يسيرُ بحساب، ويقِفُ بحساب. يمنحُ اعتبارَ سلامتَه ومصلحتَه مكاناً رحباً فيما يقبلُ أو يرفض. ومن الغنيّ عن البيان، أنّ هذا النمط من الشخصيّة لا يُنتجُ شهداءَ يبذلون حياتهم في سبيل ما أو مَن يؤمنُون به. ولكنّه في المُقابل يربأُ بنفسه عن مواضع الذُّلّ. ومن هنا رأينا الرجلَ يخرجُ من بلده «**الكوفة**»، نأياً بنفسه عن اتخاذ موقفٍ بين أمريَن كلاهما خاسرٌ بمعنىً أو بغيره. فلا هو ينصرُ الإمامَ، لأنّه يخوضُ معركةً خاسرةً بمقايسَ قتاليّة. ولا هو يَشْرُكُ في دم ابن بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله، لأنّه أيضاً عملٌ خاسرٌ باعتباراتٍ أُخرى واضحة. ولكنّه، استناداً إلى رواية ابن الأعثم، عرضَ على الإمام أن يُعطيَه فرسَه الذي «**ما طلبتُ عليه شيئاً إلا أذقتُهُ حياضَ الموت وسيفَه الذي ما ضربتُ به إلا قطعت**». وطبعاً رفض الإمامُ العرْضَ. ثم أنّه، أيضاً استناداً إلى ابن الأعثم، ندمَ بعد ذلك أشدَّ الندم على ما فاته من نُصرة الإمام. وله في التعبير عن ندمه قصيدتان. هما من أوائل الشعر الحُسيني، الذي أودعَ فيها أصحابُهُ رؤيتَهم وفهمَهم للحدث الكربلائي. وهو بذلك يختزنُ ثروةً من المعلومات عن

(١) الفتوح : ٥ / ١٣٠ ـ ٣٣ .

(٢) انظر مثلاً : مقتل الحسين للمُقرّم / ١٨٨ ، ووقائع الطريق من مكة إلى كربلاء للطبسي : ٣ / ٢٧٦ .

اتجاهات الناس ورَجْعهم. يستحقُّ أن يكونَ موضعَ دراسةٍ نقديّة تركيبيّةٍ، قد تأتي بنتائجٍ كبيرة، على صعيد تداعيات يوم «**كربلا**».

مهما يكن، فإنّ الإمامَ، كما قلنا، لم يستقرَ به المقامُ في «**قصر بني مقاتل**» غيرَ سواد ليلة أو أقلّ. ارتحلَ بعدها تحتَ الحراسة المُشدّدة للحرِّ وعسكره. ومن الواضح للقارئ الآن أنّ مسيرَه قد غدا الآن إلى غير ما مَقصَد. وأنّه كلّما تقدّمَ ازدادَ ابتعاداً عن «**الكوفة**». وما بعدها ليس إلا مزارع مُتناثرة على شطِّ فرعٍ صغيرٍ لنهر الفرات. يعمُرُها فلاّحون من بني أسد.

ومع ذلك فإنه كان له على الأقل قرارُ النزول أو الرحيل. فإذا نزلَ نزلَ العسكرُ بنزوله. وإذا ارتحلَ ارتحلَ معه.

فيقولُ عِقبةُ بن سمعان أنّه لمّا كان آخر الليل، أي قبل أن يتنفّسَ الصُّبح، أمر الحسين عليه السلام بالاستقاء من الماء. ثم أمَرنا بالرحيل ففعلنا.

فلما أصبح نزلَ فصلّى الغَداة، يعني فريضةَ الصُبح. ثم عجّلَ الركوب. فأخذ يتياسر بأصحابه يُريدُ أن يُفرّقهم. فيأتيه الحُرُّ بن يزيد فيردُّهم فيرُدُّه. فجعل إذا ردّهم إلى «**الكوفة**» ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا[1]. فكأنّ الإمام أراد بمسيره المُبكّر، أن يمنحَ أصحابَه أو مَن يرغبُ منهم، فرصةَ التسلُّل بعيداً والنجاةَ بنفسه، في عتمة الثُلُث الأخير من الليل. فكان الحُرُّ يردُّهم يميناً «**ردّاً شديداً**» باتجاه «**الكوفة**». وبذلك يُضيّق عليهم الخناق ويضبطُ مسيرَهم، ويكونُ مُمتثلاً لأمر أميره. في حين أنّ الإمامَ «**يتياسرُ بأصحابه يُريدُ أن يُفرّقهم**».

مضى الأمرُ على هذه الحال حتى انتهوا إلى:

(١) الطبري: ٥ / ٤٠٧.

١٤ ـ (نينوى / كربلا)

والأوّلُ اسمٌ تاريخي على منطقةٌ شاسعةٌ[١]. حيث قامت منذ الألف الخامس قبل الميلاد الدولة الأشوريّة عاصمتها مدينة «**نينوى**». وتتداخلُ مع منطقةٍ تاريخيّةٍ أُخرى، هي «**بابلُ**» الكلدانيّة، التي نهضت بعدها غير بعيد.

والذي يبدو هو أنّ عيونَ عبيد الله بن زياد كانت تُراقبُ ما يجري، وتُخطرُ به الأمير. لذلك فإنّه مع وصول الإمام ومَن معه إلى «**نينوى**»، لقيهم رسولٌ قادمٌ من ابن زياد بكتابٍ إلى الحرّ، جاء فيه:

«**أمّا بعد. فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي. فلا تُنزله إلا بالعراء، في غير حصنٍ وعلى غير ماء. وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذ أمري. والسلام**»[٢].

الكتابُ إجمالاً يدلُّ على أنّ الحرّ قد خسرَ الآن ما له من منزلةٍ عند ابن زياد، ولم يعُدْ موضعَ ثقته. وذلك بالتأكيد بسبب ليونته مع الأمام وصحبه. مع أنّ الرجلَ كان يبذلُ جُهداً صادقاً في الالتزام كعسكريّ بما معه من أوامر صريحة. مع الحرص الشديد على أن لا يُوصلُه ذلك إلى الابتلاء بدم أهل بيت النبي صلوات الله عليه وآله.

ثم أنّ الأمرَ له بأن «**يُجعجع**» بالحسين عليه السلام، أي بأن يُلزمه الجعجاع، يعني المكان الضيّق الخشن. ومن ذلك أن لا يُنزله إلا بالعراء، «**في غير حصنٍ وعلى غير ماء**» ـ، ذلك الأمرُ يرمي إلى إنهاكهم في أبدانهم، والأخذِ من قواهم المعنويّة. وهكذا ألزمهم الحرُّ بالنزول حيث هم.

---

(١) في معجم البلدان: ٥ / ٣٣٩: «وبسواد الكوفة ناحيةٌ يُقالُ لها نينوى. منها كربلا التي قُتل فيها الحسين رضي الله عنه»

(٢) نفسه: ٥ / ٤٠٨.

وعندما سأل الإمامُ عن اسم الأرض التي هو عليها، قالوا له:

«كربلاء»

قال: «**أرضُ كربٍ وبلاء**». «**وأراد الخروجَ منها فمُنع حتى كان ما كان**»[1].

(١) معجم البلدان: ٤ / ١٣٦.

مكتبةُ البحث

- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد:

كتاب الفتوح، ط. حيدر آباد، لات.

- ابن سعد،، محمد:

الطبقات الكبرى، ط. بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٥٧م.

- ابن شهرآشوب المازندراني:

مناقب آل أبي طالب، ط. ببيروت١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

- ابن عبد البَـرّ:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط. بيروت ١٤٢٢ هـ / ١٢٠٢م.

- ابن عبد الحق البغدادي:

مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، ط. مصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٤ م.

- ابن عساكر:

تاريخ مدينة دمشق (الترجمة للإمام الحسين) ط. بيروت، لات.

- ابن عنبة، أحمد بن علي:

عُمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط. قم ١٣٨٣هـ.

- أبو الفرج الإصبهاني، علي بن الحسين:

مقاتل الطالبيين، ط. بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.

ـ الإربلي

كشفُ الغُمّة في معرفة الأئمة، ط. بيروت، دار الأضواء، لات.

ـ البلاذُري، أحمد بن يحيى:

أنساب الأشراف، ط. بغداد مكتبة المُثنّى، لات.

ـ الخوارزمي، المُوفّق بن أحمد:

مقتل الحسين، ط. قم مكتبة المُفيد، لات.

ـ الدينوري، أحمد بن داود:

الأخبار الطِّوال، ط. مكتبة المُثنّى ببغداد بالأُوفست عن أصلٍ غير مذكور.

ـ الذهبي، محمد بن أحمد:

سِيَر أعلام النبلاء، ط. بيروت ١٤٠٢ هـ.

ـ الطبري، محمد بن جرير:

تاريخ الرسُل والملوك، ط. مصر دار المعارف، لات.

ـ الفخر الرّازي، محمد بن عمر:

الشجرة المباركة في انساب الطالبيّة، ط. قم ١٤٠٩ هـ.

ـ كامل الجُبُوري:

نصوصٌ من تاريخ أبي مِخنَف، ط. بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

ـ محمد جواد الطبسي:

وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء، ط. قم ١٤١٠هـ/ ١٣٨٠هـ. ش.

ـ المبرّد، أبو الغباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، ط. بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

ـ المَزّي، يوسف:

تهذيب الكمال في اسماء الرجال، ط. بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـ المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان:

الجمل أو النُصرة في حرب البصرة، ط. النجف ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

الإرشاد إلى حُجج الله على العباد، ط. النجف، لات.

ـ المُنقري، نصر بن مُزاحم:

وقعة صفّين، ط. مصر ١٣٨٢ هـ.

ـ مهدي الرّجائي:

المُعقّبون من آل أبي طالب، ط. قم ١٤٢٧هـ / ١٣٨٥هـ. ش.

ـ ياقوت بن عبد الله الحموي:

معجم البلدان، ط. بيروت دار صادر دار بيروت، لات.

ـ اليعقوبي، أحمد بن اسحاق:

تاريخ اليعقوبي، ط. بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

الفهرسـت

فهرست تحليلي شامل للأعلام عموماً من أسماء أشخاص وجماعات وقبائل وفِرَق وأماكن ومواقع ومعالم جغرافيّة وطوبوغرافيّة.
وهي منسوقةٌ أبتثيّاً (أ، ب، ت، ثاء.....الخ.). وقد أخذنا بالاعتبار في النسق كامل الاسم أو الكنية.

(أ)

ـ آذربايجان: ١٥.
ـ آل أبي سفيان: ٤٥.
ـ آل محمد: ٨١.
ـ ابن عبد الحق البغدادي: ٨٨.
ـ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي: ٦١ هـ.
ـ أبو جناب الكلبي: ٨٢.
ـ أبو ذر الغفاري: ١٤.
ـ أبو المخارق الراسبي: ٥٨.
ـ أبو مِخنف الكوفي، يحيى بن لوط: ٣٥، ٥٨، ٧٢، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٨٨، ١٠٧.
ـ أجأ (اسم جبل): ١٠٤.
ـ أُحُـد: ١٥.
ـ الأحنف بن قيس: ٥٧.

ـ الأدهم بن أُميّة العبدي: ١٣، ٢٨.
ـ أسد (قبيلة): ٨٣.
ـ أسلم (مولى للحسين عليه السلام): ١٣.
ـ أُمُ محمد بن أبي سعيد بن عقيل: ١٢.

(ب)

ـ بابل: ١٠٩.
ـ الباقر عليه السلام، الإمام: ١٠.
ـ بدر (اسم موقع): ١٧.
ـ بُريدة (مدينة): ٧٤.
ـ بُرير بن خُضير الهمْداني: ١٣، ٢٣.
ـ البصرة: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٠، ٦٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩.
ـ بطن الرُّمّة / وادي الرُّمّة: ٧٣، ٧٦.
ـ بطن العقبة: ٨٧.
ـ بكر البصرة: ٢٧.
ـ بكير بن المُثعلبة: ٨٢.
ـ بلنجر (مدينة في بلاد الخزر): ٨٠.
ـ بنت الشّليل البجليّة: ١٢.
ـ بنو أسد: ٢٣، ١٠٨.
ـ بنو أُميّة: ٦٨.
ـ بنو جُهينة: ١٦، ١٨، ٢٦.
ـ بنو عمرو بن يشكر بن بجيلة: ٧٩.

ـ بنو شهاب من طئ: ٨٨.
ـ البيت السفياني: ٤٣.
ـ البيت المرواني: ٤٣.
ـ البِيضة (اسم موقع): ٨٨، ١٠٢.

(ت)

ـ التّمّارين (محلّةٌ في الكوفة): ٧٩.
ـ تميم البصرة: ٢٧.
ـ التنعيم (اسم وادٍ): ٧١، ٧٤.

(ث)

ـ الثعلبيّة (اسم موقع): ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥.
ـ ثمود: ٥١.

(ج)

ـ جابر بن الحارث السّلماني المُذحجي: ١٣.
ـ جعفر بن عقيل بن أبي طالب: ١٢.
ـ جعفر بن علي عليه السلام: ١١، ١٣.
ـ جُنادة بن الحارث: ١٠٢.
ـ جُنادة بن كعب الخزرجي: ١٣، ٢٦.
ـ جُندب بن حُجير الكندي الخولاني: ١٣.
ـ جَوْن بن حويّ: ١٣.

(ح)

ـ الحاجر من بطن الرُمّة: ١٧، ٧٣.

ـ الحارث بن خالد بن هشام المخزومي: ٤٧، ٤٨، ٦١، ٦٨.
ـ الحارث بن ربيعة: ٧٩.
ـ الحبّاب بن عامر التميمي: ١٤.
ـ حبيب بن مظاهر الأسدي: ٥١.
ـ الحجّاج بن بدر السّعدي التميمي: ١٤، ٢٨، ٥٩.
ـ الحجّاج بن مسروق الجُعفي: ١٤، ٩٣.
ـ الحجّاج بن يوسف الثقفي: ٧٩.
ـ حجّار بن أبجر: ٥٣.
ـ الحجاز: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٦٨، ١٠١، ١٠٦.
ـ الحُرّ بن يزيد الرّياحي: ١٥، ٩٠، ٩٢، ١٠٨.
ـ الحَرة: ٧٧.
ـ الحَرْث بن نبهان: ١٤.
ـ حسّان الطائي: ١٧.
ـ الحسن عليه السلام: ١٢، ٢٥، ٣٠، ٣٢، ٤٠.
ـ الحسن بن محمد بن الحنفيّة: ٤١.
ـ الحسين عليه السلام / سيّد الشهداء: يرد كثيراً في الكتاب.
ـ الحُصين بن تميم التميمي: ٩١، ١٠٦.
ـ حمزة بن عبد المُطّلب: ١٤.
ـ حِمْيَر (قبيلة): ١٠٤.
ـ الحُميمة (مدينة) ٢٥.
ـ حنظلة البصرة: ٢٧.
ـ حُنين (اسم موقع): ٧٢.

(خ)
ـ الخُزيميّة (اسم موقع): ٨٧.
ـ خَفّان (اسم موقع): ٩١.

(د)
ـ داود بن علي بن عبد الله بن عباس: ٨٤.
ـ دمشق: ٤٣.
ـ دلهم بنت عمرو (زوجة زهير بن القين): ٨٠.

(ذ)
ـ ذُهل البصرة: ٢٧.
ـ ذو حُسَم (اسم موقع): ٩٠، ٩٩، ١٠٢.

(ر)
ـ الرباب بنت امرئ القيس(زوجة الحسين عليه السلام) ١١، ١٧، ٢٠.
ـ رباب البصرة: ٢٧.
ـ ربيعة (قبيلة): ٢٤، ٥٧.
ـ رُقيّة بنت علي عليها السلام: ١١.
ـ رملة (أُمّ القاسم بن الحسن عليه السلام): ١٢.
ـ الرياض: ٧٤.

(ز)
ـ زاهر بن عمرو الأسلمي الكندي: ١٤، ٢٦.
ـ زُبالة (اسم موقع): ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩١.
ـ الزُبير بن العوّام: ٢٧.
ـ زَرود (اسم موقع): ٧٨، ٨٢، ٨٤.

ـ زهير بن القين البجلي: ٧٩، ٨٠.
ـ زيد بن علي بن الحسين عليه السلام: ٨٤.
ـ زينب الكبرى بنت علي عليها السلام: ١١، ٨١.

(س)

ـ سالم (مولى الشهيد عامر بن مسلم العبدي): ١٥، ٢٨.
ـ سعد البصرة: ٢٧.
ـ سعد بن الحارث الخُزاعي: ١٦.
ـ سعيد بن عبد الله الحنفي: ١٥، ١٦، ٥٦، ٥٧.
ـ سُكينة بنت الحسين عليه السلام: ١١.
ـ سُلمى (جبل): ١٠٤.
ـ سلمان الباهلي: ٨٠، ٨١.
ـ سليمان (رسول الحسين عليه السلام إلى البصرة): ٢٩.
ـ سليمان بن صُرد الخُزاعي: ٥٠، ٥١، ٦٠هـ.
ـ سيف بن مالك العبدي: ١٥، ٢٨.

(ش)

ـ الشام: ٢٤، ٢٩، ٣٥، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٧٩، ١٠٦.
ـ شبث بن ربعي: ٥٣، ٥٦.
ـ شَراف (ماءٌ بنجد): ٨٩، ٩٠.
ـ شرطة الخميس: ١٥.
ـ الشُّقوق (اسم موقع): ٨١.
ـ شوذب بن عبد الله الهمْداني: ١٥، ٢٣.
ـ الشيعة: ١٥، ٢٨، ٢٩، ٥٠، ٥٨.

ـ شيعة البصرة: ٢٩، ٥٩.

(ص)

ـ الصِّفاح (اسم موقع): ٧٣.
ـ صفّين: ١٧، ١٨، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ١٠٧.

(ض)

ـ الضُويجعة (اسم موقع): ٨١، ٨٤.

(ط)

ـ الطائف: ٣٥، ٧٥.
ـ الطبري: ١٠، ١٧، ٢٢، ٢٩، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ١٠٨.
ـ الطّرمّاح بن عدي: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩.
ـ طلحة بن عُبيد الله: ٢٧.
ـ طئ (قبيلة): ١٠٤، ١٠٨.

(ف)

ـ الفضل بن العباس بن عبد المطلب: ١٤.

(ع)

ـ عائذ بن مجمع بن عبد الله العائذي: ١٥، ١٠٢.
ـ عامر بن مسلم العبدي: ١٥، ٢٨.
ـ عبّاد بن المهاجر الجُهني: ١٧، ٢٦.
ـ العباس بن عبد المطلب: ٤٣.
ـ العباس بن علي عليه السلام: ١١، ١٣.

ـ عبد الرحمان بن عبد ربه الانصاري: ١٦: ٢٦.
ـ عبد الرحمان بن عبد الله الأرحبي الهمْداني: ١٦، ٢٣، ٥٧.
ـ عبد الرحمان بن عقيل بن أبي طالب: ١٢.
ـ عبد القيس (بطنٌ من ربيعة): ١٣، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٥٠، ٥٧، ٥٨، ٥٩.
ـ عبد القيس البصرة: ٢٨.
ـ عبد الله بن بُقطُر: ٨٥، ٨٦.
ـ عبد الله بن ثبيط العبدي: ١٦، ٥٨.
ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: ٦٩.
ـ عبد الله بن الحسن عليه السلام: ١٢، ١٣.
ـ عبد الله بن الحسن بن عقيل: ١٢.
ـ عبد الله (الرضيع) بن الحسين عليه السلام: ١٩.
ـ عبد الله الدُئلي: ١٧.
ـ عبد الله بن الزبير: ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨.
ـ عبد الله بن سبُع الهمْداني: ١٦، ٥٦.
ـ عبد الله بن سُليم الأسدي: ٨٢.
ـ عبد الله بن عباس: ٤٣، ٦٣، ٨٤.
ـ عبد الله بن علي عليه السلام: ١١.
ـ عبد الله بن عمر: ٣٤، ٣٧، ٦٢، ٦٣.
ـ عبد الله بن محمد بن علي عليه السلام: ٢٥.
ـ عبد الله بن عمرو بن العاص: ٨٥.
ـ عبد الله بن مسلم بن عقيل: ١٢، ١٣.
ـ عبد الله بن مُطيع العدوي: ٤١، ٧٥، ٧٦، ٧٧.

ـ عبد الله بن وال: ١٦، ٥٦.
ـ عبد الملك بن مروان: ٤٤.
ـ عبد الله بن يزيد العبدي: ١٦، ٢٨.
ـ عُبيد الله بن الزبير: ٤٤.
ـ عُبيد الله بن ثبيط العبدي: ٥٨.
ـ عُبيد الله بن الحر الجُعفي: ١٠٦.
عُبيد الله بن زياد. ٢٩، ٥٣، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٧٥، ٨٨، ٩١، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٩.
ـ عُبيد الله بن يزيد العبدي: ١٦.
ـ عثمان بن زياد: ٥٩.
ـ عثمان بن عفّان: ٢٧، ٣٥، ٣٧، ٤٦.
ـ عثمان بن علي عليه السلام: ١١، ١٣.
ـ عديّ بن حرملة: ٨٢.
ـ عُذيب الهجانات / العُذيب: ١٥، ١٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.
ـ العراق: ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٤، ٢٦، ٤٦، ٥٠، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٧٢، ٧٦.
ـ عزرة بن قيس: ٥٣.
ـ العقبة: ٨٧، ٨٨.
ـ عقبة بن أبي العيزار: ٩٩.
ـ عقبة بن سمعان: ١٦، ٢٢، ٤٠، ٩٤، ١٠٨.
ـ عقبة بن الَصلت الجُهني: ١٧، ٢٦.
ـ عقيل بن أبي طالب: ٢٥.
ـ علي عليه السلام / أمير المؤمنين: ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٥٧، ٦٠.

ـ علي الأكبر بن الحسين عليه السلام: ١١، ١٣.
ـ علي بن الحسين عليهما السلام: ١١.
ـ علي بن الطعّان المُحاربي: ٩٢.
ـ عمّار بن حسّان الطائي: ١٧.
ـ عمّار الدهني: ١٠.
ـ عُمارة بن عُبيد السّلولي: ٥٦.
ـ عمر بن جنادة بن كعب الأنصاري: ١٣، ١٧، ٢٦.
ـ عمر بن سعد بن أبي وقّاص: ١٧، ٤٧.
ـ عمر الشعبي: ١٠٦.
ـ عمر بن عبد الرحمان المخزومي: ٦١.
ـ عمر بن عبد الله بن معمر: ٥٦.
ـ عمرو بن خالد الأسدي الصيداوي: ١٥، ١٧، ١٠٢.
ـ عمرو البصرة: ٢٧.
ـ عمرو بن الزبير: ٤٣، ٤٤.
ـ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق: ٣٩، ٤٣، ٦٨، ٧٠.
ـ عون بن عبد الله بن جعفر: ١١، ١٣، ٧٠.
ـ عين التمر (بلد): ١٠٦.

(غ)

ـ غسّان (قبيلة): ١٠٤.

(ف)

ـ الفرزدق بن غالب: ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٨٥.

(ق)

ـ القادسيّة: ٩، ٧٥، ٩١، ٩٩، ١٠١.
ـ قارب بن عبد الله الدُئلي: ١٧.
ـ القاسم بن الحسن عليه السلام: ١٢، ١٣.
ـ القرعاء (اسم موضع): ٨٩.
ـ قريش: ٢٦، ٢٧، ٤٧، ٧٦، ٧٧.
ـ قريش البصرة: ٢٧.
ـ قصر الإمارة (في الكوفة): ٥١.
ـ قصر بني مقاتل / قصر مقاتل: ١٠٦، ١٠٨.
ـ القُطقُطانة (اسم موضع): ٩١.
ـ قعنب بن عمرو النُميري: ١٧، ٢٨.
ـ قيس البصرة: ٢٧.
ـ قيس بن مُسهّر الصيداوي: ١٥، ١٦، ١٧، ٥٦، ٧٤، ١٠٢، ١٠٣.

(ك)

ـ كربلا: يردُ كثيراً في الكتاب.
ـ الكوفة: ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.
ـ الكيسانيّة: ٢٥.

(ل)

ـ لبطة بن الفرزدق: ٧٣.
ـ لقيط: ٩٢.
ـ اللوزة (اسم بركة): ٨٩.
ـ لهازم البصرة: ٢٧.
ـ ليلى بنت أبي مُرّة (زوجة الحسين عليه السلام): ١١.

(م)

ـ مارية بنت سعد: ٥٨.
ـ مارية بنت مُنقذ. ٢٩.
ـ مالك بن مسمع: ٥٦.
ـ مجمع بن زياد بن عمر الجُهني: ١٧، ٢٦.
ـ مجمع بن عبد الله العائذي: ١٦، ١٨، ١٠٢.
ـ محمد/النبي/رسول الله صلوات الله عليه وآله: ١٤، ١٨، ٤١، ٣٣، ٦٣، ٦٥، ٧٦، ٨٠، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٧.
ـ محمد بن أبي سعيد بن عقيل: ١٢، ١٣.
ـ محمد بن عبد الله بن جعفر: ١١، ٦٩.
ـ محمد بن علي عليه السلام / ابن الحنفيّة: ٢٥، ٤١.
ـ محمد بن علي عليه السلام (المُكنّى أبو بكر): ١١، ١٣.
ـ محمد بن عُمير التميمي: ٥٣.
ـ محمد بن مسلم بن عقيل: ١٢.
ـ المختار الثقفي: ٢٣، ٤١.
ـ المدينة: ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٦٠، ٦٢.

ـ المذرى بن المُشمعلّ: ٨٢.
ـ المُرجئة: ٢٥.
ـ مروان بن الحكم: ٣٥، ٤٠، ٤١.
ـ مسعود بن عمرو: ٥٨.
ـ المسعودي: ٩.
ـ مسلم بن عقيل: ١٦، ١٧، ٤١، ٥٦، ٦٠، ٧٤، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦.
ـ المُسيّب بن نجَبَة الفزاري: ٥١.
ـ مشاش (اسم موضع): ٧٢.
ـ مصر: ٢٦.
ـ مُضر البصرة: ٢٧.
ـ معاوية بن أبي سفيان: ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٥٠، ٥٢، ٦٢.
ـ معاوية بن يزيد: ٣٥.
ـ المعتزلة: ٢٥.
ـ المُغيثة (اسم موضع): ١٠١، ١٠٥.
ـ مكة: ٩، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٩، ٨٥، ٨٨، ٩١، ٩٧.
ـ مُنجح بن سهم: ١٨.
ـ المُنذر بن الجارود العبدي: ٢٩، ٥٧، ٥٩.

(ن)

ـ نافع بن هلال الحملي المذحجي: ١٨، ١٠٢.

ـ نجـد: ٧٤، ٧٨، ٨٩.
ـ نصر بن أبي نيزر: ١٨.
ـ النعمان بن بشير الأنصاري: ٥١، ٦٠.
ـ النعمان بن المُنذر: ١٠٤.
ـ نوفل بن الحارث بن عبد المطلب: ١٨.

(هـ)

ـ هاني بن عروة: ٨٣، ٨٦.
ـ هاني بن هاني السُبيعي: ١٦، ٥٥، ٥٦.
ـ هشام بن الكلبي: ٩٢.
ـ همْـدان (قبيلة): ٢٣، ٢٤، ٥٠.
ـ الهمدانيّون: ١٣.

(و)

ـ واقصة / واقصة الحزون (اسم موقع): ٢٩، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٩.
ـ الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان: ٣٤، ٤٣، ٤٤، ٦٨.

(ي)

ـ يحيى بن سعيد بن العاص: ٦٩.
ـ يزيد بن ثبيط العبدي: ١٨، ٢٨، ٥٨.
ـ يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم: ٥٤.
ـ يزيد بن معاوية: ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥٢، ٥٧، ٦٢، ٦٧، ٧٢، ٩٨، ١٠١.
ـ يزيد بن مغفل المذحجي: ١٨.
ـ اليمن: ٢٣، ٧١.